والاضداد) لم أسبق الى نحلته ولم يسألني أحد صنعه ابتدأته بذكر محاسن الكتابة والكتب وختمته في ذكر شيء من محاسن الموت والله يكلاؤه من حاسد اذا حسد

محاسن الكتابة والكتب

كانت العجم تقيّد مآثرها بالبنيان والمدن والحصون مثل بناء أردشير وبناء إصطخر وبناء المدائن والسَّدير والمدن والحصون . . ثم انّ العرب شاركت العجم في البنيان وتفرّدت بالكتب والأخبار والشعر والآثار فالها من البنيان غمدان وكعبة نجران وقصر مارب وقصر مارد وقصر شَعوب والأبلق الفرد وغير ذلك من البنيان : وتصنيف الكتب أشدّ تقييداً للمآثر على ممرّ الأيام والدهور من البنيان لأنّ البناء لا محالة يدرس وتعفى رسومه والكتاب باق يقع من قرن الى قرن ومن أمة الى أمة فهو أبداً جديد والناظر فيه مستفيد وهو أبلغ في تحصيل المآثر من البنيان والتصاوير :: وكانت العجم تجعل الكتاب في الصخور ونقشاً في الحجارة وخِلْقَةً مركّبة في البنيان فربما كان الكتاب هو الناتئ وربما كان هو المحفور اذا كان ذلك تاريخاً لأمر جسيم أو عهداً لأمر عظيم أو موعظة يرتجى نفعها أو احياء شرف يريدون تخليد ذكره كما كتبوا على قبّة غمدان وعلى باب القيروان وعلى باب سمرقند وعلى عمود مارب وعلى ركن المشقّر وعلى الأبلق الفرد وعلى باب الرها يعمدون الى المواضع المشهورة والأماكن المذكورة فيضعون الخطّ في أبعد المواضع من الدثور وأمنعها من الدروس وأجدر أن يراه من مرّ به ولا يُنسى على وجه الدهور :: ولولا الحِكَم المحفوظة والكتب المدونة لبطل أكثر العلم ولغلب سلطان النسيان سلطان الذكر ولما كان للناس مفزع الى موضع استذكار ولو لم يتمّ ذلك لحرمنا أكثر النفع :: ولولا ما رَسَمَت لنا الأوائل في كتبها وخلّدت من عجيب حكمتها ودوّنت من أنواع سِيَرها حتى شاهدنا بها ماغاب عنّا وفتحنا بها كلّ مستغلق فجمعنا الى قليلنا كثيرهم وأدركنا ما لم نكن ندركه الاّ بهم لقد بخسَ حظّنا منه وأهل العلم والنظر وأصحاب الفكر والعبر والعلماء بمخارج الملل وأرباب النحل وورثة الأنبياء وأعوان الخلفاء يكتبون كتب الظرفاء والصلحاء وكتب الملاهي وكتب أعوان الصلحاء وكتب أصحاب المراء

والخصومات وكتب السخفاء وحميّة الجاهليّة .. ومنهم من يفرط في العلم أيّام خموله وترك ذكره وحداثة سنّه .. ولولا جياد الكتب وحسانها لما تحرّكت همم هؤلاء لطلب العلم ونازعت الى حبّ الكتب وانفت من حال الجهل وان يكونوا في غمار الوحش ولدخل عليهم من الضرر والمشقّة وسوء الحال ما عسى أن يكون لا يمكن الإخبار عن مقداره إلاّ بالكلام الكثير .. وسمعت محمد بن الجهم يقول اذا غشيني النعاس في غير وقت النوم تناولت كتاباً فاجد اهتزازي للفوائد الأريحية التي تعتريني من سرور الاستبداء وعزّ التبيّن أشدّ إيقاظاً من نهيق الحمار وهدّة الهدم فاني اذا استحسنت كتاباً واستجدته ورجوت فائدته لم أوثر عليه عوضاً ولم أبغ به بدلا فلا أزال أنظر فيه ساعة بعد ساعة كم بقي من ورقه مخافة استنفاده وانقطاع المادة من قبله .. وقال ابن داحة كان عبدالله ابن عبد العزيز بن عبد الله بن عمر بن الخطاب لا يجالس الناس . فنزل مقبرة من المقابر وكان لايزال في يده كتاب يقرؤه فسئل عن ذلك فقال لم أر أوعظ من قبر ولا آنس من كتاب ولا أسلم من الوحدة .. وأهدى بعض الكُتّاب الى صديق له دنتراً وكتب معه .. هديّتي هذه أعزّك الله تزكو على الإنفاق وتربو على الكدّ لا تفسدها العواري ولا تخلقها كثرة التقليب وهي إنس في الليل والنهار والسفر والحضر تصلح للدنيا والآخرة تؤنس في الخلوة وتمنع من الوحدة مسامر مساعد ومحدّث مطاوع ونديم صدق .. وقال بعض الحكماء الكتب بساتين العلماء .. وقال آخر .. الكتاب جليس لا مؤنة له .. وقال آخر .. الكتاب جليس بلا مؤنة .. وقال آخر .. ذهبت المكارم إلا من الكتب

(قال الجاحظ) .. وأنا أحفظ وأقول : الكتاب نعم الذّخر والعُدّة والجليس والعمدة ونعم النشرة ونعم النزهة ونعم المشتغل والحرفة ونعم الأنيس ساعة الوحدة ونعم المعرفة ببلاد الغربة ونعم القرين والدخيل والزميل ونعم الوزير والنزيل .. والكتاب وعاء مُلئ علما وظرف حُشي ظرفا واناء شحن مزاحا إن شئت كان أعيى من باقل وإن شئت كان أبلغ من سحبان وائل وان شئت سرّتك نوادره وشجنتك مواعظه ومن لك بواعظ مُلهٍ وبناسك فاتك وناطق أخرس ومن لك بطبيب اعرابيّ ورومي هنديّ وفارسيّ يونانيّ ونديم مولّد ونجيب متّع ومن لك بشئ يجمع الأول والآخر والناقص والوافر

والشاهد والغائب والرفيع والوضيع والغثّ والسمين والشكل وخلافه والجنس وضده ٠٠ وبعدها رأيت بُستاناً يحمل فى رُدُن وروضة تنقل في حُجر ينطق عن الموتى ويترجم عن الأحياء ومن لك بمؤنس لا ينام إلا بنومك ولا ينطق إلا بما تهوى آمن من الأرض وأكتم للسر من صاحب السر وأحفظ للوديعة من أرباب الوديعة ولا أعلم جاراً آمن ولا خليطاً أنصف ولا رفيقاً أطوع ولا معلماً أخضع ولا صاحباً أظهر كفاية وعناية ولا أقلّ إملالاً ولا إبراما ولا أبعد من مراء ولا أترك لشغب ولا أزهد فى جدال ولا أكف عن قتال من كتاب ولا أعمّ بياناً ولا أحسن مواتاة ولا أعجل مكافاة ولا شجرة أطول عمرا ولا أطيب ثمرا ولا أقرب مجتنى ولا أسرع إدراكا ولا أوجد فى كل إبّان من كتاب ولا أعلم نتاجا في حداثة سنّه وقرب ميلاده ورخص ثمنه وإمكان وجوده يجمع من السِيَر العجيبة والعلوم الغريبة وآثار العقول الصحيحة وجود الأذهان اللطيفة ومن الحكم الرفيعة والمذاهب القديمة والتجارب الحكيمة والاخبار عن القرون الماضية والبلاد النازحة والأمثال السائرة والأمم البائدة ما يجمعه كتاب ٠٠ ومن لك بزائر إن شئت كانت زيارته غبّا وورده خمسا وإن شئت لزمك لزوم ظلّك وكان منك كبعضك ٠٠ والكتاب هو الجليس الذى لا يُطريك والصديق الذى لا يقليك والرفيق الذى لا يملّك والمستمع الذى لا يستزيدك والجار الذي لا يستبطئك والصاحب الذى لا يريد استخراج ما عندك بالملق ولا يعاملك بالمكر ولا يخدعك بالنفاق ٠٠ والكتاب هو الذى إن نظرت فيه أطال امتاعك وشحذ طباعك وبسط لسانك وجوّد بيانك وفخّم ألفاظك وبجّح نفسك وعمّر صدرك ومنحك تعظيم العوامّ وصداقة الملوك يُطيعك بالليل طاعته بالنهار وفي السفر طاعته في الحضر وهو المعلِّم إن افتقرت اليه لم يحقرك وان قطعت عنه المادة لم يقطع عنك الفائدة وان عُزِلتَ لم يدع طاعتك وان هبّت ريح أعدائك لم ينقلب عليك ومتى كنت متعلقاً منه بأدنى حبل لم تضطرّك معه وحشة الوحدة الى جليس السوء وإنّ أمثل ما يقطع به الفُرّاغ نهارهم وأصحاب الكفايات ساعات ليلهم نظر فى كتاب لا يزال لهم فيه ازدياد في تجربة وعقل ومروءة وصون عرض وإصلاح دين وتثمير مال وربّ صنيعة وابتداء إنعام ٠٠ ولو لم يكن من فضله عليك وإحسانه اليك الا منعه لك من الجلوس

على بابك والنظر الى المارّة بك مع ما في ذلك من التعرض للحقوق التي تلزم ومن فضول النظر وملابسة صغار الناس ومن حضور الفاظهم الساقطة ومعانيهم الفاسدة وأخلاقهم الرديّة وجهالتهم المذمومة لكان فى ذلك السلامة والغنيمة واحراز الأصل مع استفادة الفرع ولو لم يكن في ذلك الاّ أنه يشغلك عن سخف المُنَى واعتياد الراحة وعن اللعب وكل ما تشتهيه لقد كان له في ذلك على صاحبه أسبغ النعم وأعظم المنّة .. وجملة الكتاب وان كثر ورقه فليس مما يملّ لأنه وان كان كتاباً واحـداً فانه كتُب كثيرة فى خطابه والعلم بالشريعة والأحكام والمعرفة بالسياسة والتـدبير .. وقال مصعب بن الزبير .. ان الناس يتحدّثون بأحسن ما يحفظون ويحفظون أحسن ما يكتبون ويكتبون أحسن ما يسمعون فاذا أخذت الأدب فخذه من أفواه الرجال فانك لا ترى ولا تسمع الاّ مختارا ولؤلؤاً منظوما .. وقال لقمان لابنه .. يا بنيَّ نافس فى طلب العلم فانه ميراث غير مسلوب وقرين غير مغلوب ونفيس حظّ من الناس وفي الناس مطلوب .. وقال الزهري .. الأدب ذَكَر لا يحبـه الاّ الذكور من الرجال ولا يبغضه لاّ مؤنّثهم .. وقال .. اذا سمعت أدباً فاكتبه ولو في حائط .. وقال منصور بن المهدىّ المأمون .. أيحسن بنا طلب العلم والأدب قال : والله لأن أموت طالباً للأدب خير لى من أن أعيش قانعاً بالجهل قال : فالى متى يحسن بى ذلك قال : ما حسنت الحياة بك

﴿ ضـدّه ﴾

الحديث المرفوع رحم الله عبداً أصلح من لسانه .. وكان الوليد بن عبد الملك لُحَنَةً فدخل عليه اعرابيّ يوما فقال انصفني من ختني يا أمير المؤمنين فقال ومن خَتَنَك قال رجل من الحيّ لا أعرف اسمه فقال عمر بن عبد العزيز ان أمير المؤمنين يقول لك من خَتَنُك فقال هو ذا بالباب فقال الوليد لعمر ما هذا قال النحو الذى كنت أخبرتك عنه قال لاجرم فاني لا أصلى بالناس حتى أتعلمه .. قال وسمع اعرابيّ مؤذّناً يقول .. أشهد أن محمداً رسولَ الله فقال يفعـل ماذا .. قال وقال رجل لزياد .. أيها الأمير انّ أبينا هلك وانّ أخينا غصبنا على ميراثنا من أبانا فقال زياد ما ضيّعت من نفسك أكثر مما

ضاع من ميراث أبيك فلا رحم الله أباك حيث ترك ابنا مثلك ،، وقال مولى لزياد : أيها الأمير احذوا لنا حمار وحش ، فقال : ما تقول ، فقال : احذوا لنا إيراً ، فقال زيادة : الأول خير من الثاني ،، قال واختصم رجلان الى عمر بن عبد العزيز فجعلا يلحلحان فقال الحاجب : قد فقد أوذيتما أمير المؤمنين ، فقال عمر للحاجب : أنت والله أشد إذاء منهما ،، قال وقال بشر المريسي وكان كثير اللحن : قضى لكم الامير على أحسن الوجوه وأهنؤها ، فقال القاسم التمار : هذا على قوله

إنَّ سُلَيْمَى واللهِ يَكْلَؤُها ضَنَّتْ بشيءٍ ما كانَ يَرْزَؤُها

فكان احتجاج القاسم أطيب من لحن بشر ،، قال وكان زياد النبطي شديد اللكنة وكان نحويا فدعى غلامه ثلاثاً فلما أجابه قال : من لدن دأوتك الى أن ديتني ما كنت تصنأ ، يريد دعوتك وجئتني وتصنع ،، ومرّ ماسرجويه الطبيب بمعاذ بن مسلم فقال: يا ماسرجويه إني لأجد في حلقي بححاً ، قال : هو من عمل بلغم ، فلما جاوزه قال : تراني لا أحسن أن أقول بلغمٌ ولكنه قال بالعربية فأجبته بضدها

محاسن المخاطبات

حكوا عن ابن القرّية ،، انه دخل على عبد الملك بن مروان فبينا هو عنده إذ دخل بنو عبد الملك عليه فقال : من هؤلاء الفِتْيَة يا أمير المؤمنين ، قال : ولد أمير المؤمنين ، قال : بارك الله لك فيهم كما بارك لابيك فيك وبارك لهم فيك كما بارك لك في أبيك ، قال : فشحن فاه درّاً ،، قال وقال عمارة بن حمزة لابي العباس وقد أمر له بجوهر نفيس : وصلك الله يا أمير المؤمنين وبرّك فوالله لئن أردنا شكرك على انعامك ليقصرن شكرنا عن نعمتك كما قصر الله بنا عن منزلتك ،، قيل ودخل اسحاق بن ابراهيم الموصلي على الرشيد فقال : مالك ، قال

سَوَامِي سَوَامُ المُكْثِرِينَ تَجَمُّلاً ومالي كما قد تعلمين قليلُ

وآمِرَةٍ بالبُخْلِ قلتُ لها اقْصِرِي فذلكَ شيءٌ ما إليهِ سَبِيلُ

وكيف أخاف الفقر أو أحرم الغنا ورأيُ أميرِ المؤمنين جميلُ

أرى الناسَ خلاّنَ الجوادِ ولا أرى بخيلاً لهُ في العالمين خليلُ

فقال الرشيد : هذا والله الشعر الذى صحت معانيه وقويت أركانه ومبانيه ولذّ على أفواه القائلين واسماع السامعين ياغلام احمل اليه خمسين الف درهم ، قال اسحاق: ياأمير المؤمنين كيف أقبل صلتك وقد مدحت شعرى بأكثر مما مدحتك به ، قال الاصمعي: فعلمت انه أصيد للدراهم منى ،، قال ودخل المأمون ذات يوم الديوان فنظر الى غلام جميل على أذنه قلم فقال : من أنت ، قال : أنا الناشئ في دولتك المتقلب فى نعمتك المؤمل لخدمتك الحسن بن رجاء ، فقال المأمون : بالاحسان فى البديهة تتفاضل العقول يرفع عن مرتبة الديوان الى مراتب الخاصة ويُعطى مائة ألف درهم تقوية له ،، قال ،، ووصف يحيي بن خالد الفضل بن سهل وهو غلام على المجوسية للرشيد وذكر أدبه وحسن معرفته فعمل على ضمه الى المأمون فقال ليحيي يوماً : أدخل إليّ هذا الغلام المجوسي حتى أنظر اليه فاوصله فلما مثل بين يديه ووقف تحيّر فاراد الكلام فأُرتج عليه فادركته كبوة فنظر الرشيد الى يحيي نظرة منكرة لما كان تقدّم من تقريظه اياه فانبعث الفضل بن سهل فقال : ياأمير المؤمنين ان من أبين الدلائل على فراهة المملوك شدة افراط هيبته لسيده ، فقال له الرشيد : أحسنت والله لئن كان سكوتك لتقول هذا انه لحسن ولئن كان شيئاً أدركك عند انقطاعك انه لأحسن وأحسن ثم جعل لا يسأله عن شئ إلّا رآه فيه مقدّماً فضمّه الى المأمون ،، قال وقال الفضل بن سهل للمأمون وقد سأله حاجة لبعض أهل بيوتات دهاقين سمرقند كان وعده تعجيل انفاذها فتأخر ذلك : هب لوعدك مذكّراً من نفسك وهنّئ سائلك حلاوة نعمتك واجعل ميلك الى ذلك في الكرم حثاً على اصطفاء شكر الطالبين تشهد لك القلوب بحقائق الكرم والالسن بنهاية الجود ، فقال : قد جعلت اليك اجابة سؤالي عنى بما ترى فيهم وآخذك فى التقصير فيما يلزم لهم من غير استئمار أو معاودة في اخراج الصكاك من أحضر الاموال متناولا قال اذاً لا تجدى معرفتي بما يجب لامير المؤمنين الهناء به بما يديم له منهم حسن الثناء ويستمد

بدعائهم طول البقاء .. وقال الفضل بن سهل للمأمون .. يا أمير المؤمنين اجعل نعمتك صائنة لوجوه خدمك عن اراقة مائها فى غضاضة السؤال فقال والله لا كان ذلك الا كذلك .. قال ودخل العتابى على المأمون فقال .. خبرت بوفاتك فغممتنى ثم جاءتنى وفادتك فسرتنى فقال يا أمير المؤمنين كيف أمدحك أم بماذا أصفك ولا دين الا بك ولا دنيا الا معك قال سلنى ما بدالك قال يداك بالعطية أطلق من لسانى بالمسئلة .. قال وقدم السعدى ابو وجزة على المهلب بن أبى صفرة فقال .. أصلح الله الأمير انى قد قطعت اليك الدهناء وضربت اليك آباط الابل من يثرب قال فهل أتيتنا بوسيلة أو عشرة أو قرابة قال لا ولكنى رأيتك لحاجتى أهلا فان قمت بها فأهل ذلك وان يحل دونها حائل لم أذم يومك ولم أيأس من غدك فقال المهلب يعطى ما فى بيت المال فوجد مائة ألف درهم فدفعت اليه فأخذها .. وقال

يا مَنْ عَلَى الجُودِ صاغَ اللهُ راحَتَهُ ... فَلَيْسَ يُحْسِنُ غَيْرَ البَذْلِ والجُودِ
عَمَّتْ عَطَايَاكَ مَنْ بالشَّرْقِ قاطِبَةً ... فأَنْتَ والجُودُ مَنْحُوتَانِ مِنْ عُودِ

وقد يجب على العاقل الراغب فى الادب أن يحفظ هذه المخاطبات ويدمن قراءتها .. وقد قال الأصمعى

أَمَا لَوْ أَعِي كُلَّ ما أَسْمَعُ ... وأَحْفَظُ مِنْ ذَاكَ ما أَجْمَعُ
ولَمْ أَسْتَفِدْ غَيْرَ ما قَدْ جَمَعْتُ ... لَقِيلَ أَنَا العالِمُ المُقْنِعُ
ولَكِنَّ نَفْسِى إِلَى كُلِّ شَيْءٍ ... مِنَ العِلْمِ تَسْمَعُهُ تَنْزَعُ
فَلَا أَنَا أَحْفَظُ ما قَدْ جَمَعْتُ ... ولا أَنَا مِنْ جَمْعِهِ أَشْبَعُ
وأَقْعُدُ لِلجَهْلِ فِى مَجْلِسٍ ... وعِلْمِىَ فِي الكُتْبِ مُسْتَوْدَعُ
ومَنْ يَكُ فِي عِلْمِهِ هَكَذَا ... يَكُنْ دَهْرَهُ القَهْقَرَى يَرْجِعُ
يُضَيِّعُ مِنَ المالِ ما قَدْ جَمَعْتَ ... وعِلْمُكَ فِى الكُتْبِ مُسْتَوْدَعُ
إِذا لَمْ تَكُنْ حافِظًا واعِيًا ... فَجَمْعُكَ لِلكُتْبِ ما يَنْفَعُ

وقال بعضهم .. الحفظ مع الاقلال أمكن وهو مع الاكثار أبعد وتغير الطبائع زمن رطوبة الغصن أقبل .. وفيها قال الشاعر

أتاني هواها قبلَ أن أعرفَ الهوى ... فصادفَ قلباً خالياً فتمكنا

وقيل العلم في الصغر كالنقش في الحجر والعلم في الكبر كالعلامة على المدر .. فسمع ذلك الأحنف فقال الكبير أكثر عقلا ولكنه أكثر شغلا .. كما قال

وإنَّ منْ أدَّبتَـهُ في الصبى ... كالعُودِ يُسقَى الماءَ في غرْسِهِ

حتَّى تَرَاهُ مُورِقاً ناضِراً ... بَعْدَ الذِي أبْصرْتَ منْ يَبْسِهِ

والصبيّ عن الصبي أفهم وهو له آلف واليه أنزع .. وكذلك العالم عن العالم والجاهل عن الجاهل .. وقال الله تعالى ﴿ولو جعلناه مَلَكا لجعلناه رجلاً﴾ لأن الانسان عن الانسان أفهم وطباعه بطباعه آنس

﴿ ضدّه ﴾

قال .. دخل ابو علقمة النحوى على أعين الطبيب فقال .. انى أكلت من لحوم الجوازئ وطِئتُ طسأة فأصابنى وجع بين الوابلة الى دأية العنق فلم يزل يربو وينمو حتى خالط الشراسيف فهل عندك دواء .. قال نعم خذ خوفقا وسربقا ورقرقا فاغسله واشربه بماء فقال لا أدرى ما تقول قال ولا أنا دريت ما قلت .. قال وقال يوما آخر انى أجد معمعة في قلبي وقرة في صدرى فقال له أما المعمعة فلا أعرفها وأما القرقرة فهى ضراط غير نضيج .. قال وأتى رجل الهيثم بن العريان بغريم له قد مطله حقه فقال أصلح الله الأمير ان لى على هذا حقا قد غلبنى عليه فقال له الآخر اصلحك الله ان هذا باغني عنجداً واستنسأته حولا وشرطت عليه أن أعطيه مياومة فهو لا يلقانى في لقم الا اقتضاني ذهباً فقال له الهيثم أمن بني أميـة أنت قال لا قال أفمن بنى هاشم أنت قال لا قال أفمن أكفائهم من العرب قال لا قال ويلى عليك أنزعوا ثيابه فلما أرادوا أن ينزعوا ثيابه قال أصلحك الله ان إزارى مرعبل قال دعوه فلو ترك الغريب في موضع لتركه في هذا

الموضع .. قال ومرّ ابو علقمة ببعض الطرق فهاجت به مِرَّةٌ فوثب عليه قوم فجعلوا يعصرون ابهامه ثم يؤذّنون فى أذنه فأفلت من أيديهم فقال ما لكم تتكأ كأون على تكأ كؤكم على ذي جنة افرنقعوا عنى فقال رجل منهم دعوه فان شيطانه يتكلم بالهندية .. قال وقال لحجّام يحجمه اشدد قصب للملازم وارهف ظبة المشارط وخفّف الوضع وعجل النزع وليكن شرطك وَخزاً ومصّك نهزاً ولا تكرهن أبيّاً ولا تردّن أتيّاً فوضع الحجّام محاجمه في جونته وانصرف

محاسن المكاتبات

قال كعب العبسي لعروة بن الزبير .. قد أذنبت ذنباً الى الوليد بن عبدالملك وليس يزيل غضبه شيء فاكتب لي اليه فكتب اليه .. لو لم يكن لكعب من قديم حرمته ما يُغفرُ له عظيم جريرته لوجب أن لا تحرمه التفيّؤ بظلّ عفوك الذي تأمله القلوب ولا تعلّق به الذنوب وقد استشفع بى اليك فوثقت له منك بعفو لا يخالطه سخط فحقّق أمله وصدّق ثقتى بك تجد الشكر وافياً بالنعمة .. فكتب اليه الوليد .. قد شكرت رغبته اليك وعفوت عنه لمعوله عليك وله عندي ما يحب فلا تقطع كتبك عنى فى أمثاله وفي سائر أمورك .. وكتب عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر الى بعض اخوانه .. أما بعد فقد عاقنى الشكّ عن عزيمة الرأي ابتدأتنى بلطف من غير خبرة ثم اعقبتني جفاءً من غير ذنب فأطمعنى أوّلاك في إحسانك وأيأسنى آخرك من وفائك فلا أنا فى غير الرجاء مجمع لك إطّراحاً ولا فى غد انتظره منك على ثقة فسبحان من لو شاء كشف إيضاح الرأي فيك فأقمنا على إيتلاف أو افترقنا على اختلاف .. قال وسخط مسلمة بن عبد الملك على العريان بن الهيثم فعزله عن شُرطة الكوفة فشكا ذلك الى عمر بن عبد العزيز فكتب اليه .. ان من حفظ أنعُمَ الله رعاية ذوى الأسنان ومن إظهار شكر الموهوب صفح القادر عن الذنب ومن تمام السودد حفظ الودائع واستتمام الصنائع وقد كنت أودعت العُرْيان نعمة من أنعمك فسَلَبتها عجلة سخطك وما أنصفتَهُ تَعَصُّبَتَه على أن

وليته ثم عزلته وخليته وأنا شفيعه فأحب أن تجعل له من قلبك نصيبه ولا تخرجه من حسن رأيك فتضيع ما أودعته وتنوي[1] ما أفدته .. فعفى عنه ورده الى عمله .. قال وغضب سليمان بن عبد الملك على ابن عُبيد مولاه فشكا الى سعيد بن المسيّب ذلك فكتب اليه .. أما بعد فان أمير المؤمنين في الموضع الذي يرتفع قدره عما تقتضيه رعيته وفي عفو أمير المؤمنين سعة للمسيئين .. فرضي عنه .. قال وطلب العتّابي من رجل حاجة فقضى له بعضها ومطله ببعض فكتب اليه .. أما بعد فقد تركتني منتظراً لوعدك منتجزاً لرفدك وصاحب الحاجة محتاج الى نعم هنيئة أو لا مريحة والعذر الجميل أحسن من المطل الطويل .. وقد قلت بيتي شعر

بَسَطْتَ لِساني ثمَّ أوْثقْتَ نِصْفَهُ ... فنِصْفُ لِساني بامْتِداحِكَ مُطْلَقُ

فإنْ أنتَ لمْ تُنْجِزْ عِداتي تَرَكْتَني ... وباقي لِسانِ الشكْرِ باليأْسِ مُوثَقُ

قال .. وكتب عمرو بن مسعدة الى المأمون في رجل من بنى ضبّة يستشفع له بالزيادة في منزلته وجعل كتابه تعريضاً .. أما بعد فقد استشفع بي فلان يا أمير المؤمنين لتطوّلك عليّ في إلحاقه بنظرائه من الخاصة فيما يرتزقون به وأعلمته ان أمير المؤمنين لم يجعلني في مراتب المستشفعين وفي ابتدائه بذلك تعدّي طاعته والسلام :: فكتب اليه المأمون قد عرفنا تصريحك له وتعريضك لنفسك وأجبناك اليهما ووقّفناك عليهما :: قال وكتب عمرو بن مسعدة الى المأمون كتابا يستعطفه على الجند :: كتابي الي أمير المؤمنين ومَنْ قبلي من أجناده وقوّاده في الطاعة والانقياد على أحسن ما تكون عليه طاعة جند تأخّرت أرزاقهم واختلّت أحوالهم :: فقال المأمون والله لأقضين حق هذا الكلام وأمر باعطائهم لثمانية أشهر :: قال وقدم رجل من أبناء دهاقين قريش على المأمون لمدة سلفت منه فطال على الرجل انتظار خروج أمر المأمون فقال لعمرو بن مسعدة توصل في رقعة مني الي أمير المؤمنين تكون أنت الذي تكتبها تكون لك عليّ نعمتان فكتب :: ان رأى أمير المؤمنين أن يفكّ اسر عبده من رِبْقة المطل بقضاء حاجته ويأذن له في

(١) ـ التواء الهلاك

الانصراف الي بلده فعل إن شاء الله :: فلما قرأ المأمون الرقعة دعا عمراً فجعل يعجبه من حسن لفظها وايجاز المراد فقال عمرو فما نتيجتها يا أمير المؤمنين قال الكتاب له في هذا الوقت بما وعدناه لئلا يتأخر فضل استحساننا كلامه وبجائزة مائة ألف درهم صلة عن دناءة المطل وسماجة الاغفال ففُعِل ذلك له :: وحدثنا اسماعيل بن أبي شاكر قال :: لما أصاب أهل مكة السيل الذى شارف الحجر ومات تحته خلق كثير كتب عبيد الله بن الحسن العلوىّ وهو والي الحرمين الى المأمون :: ان أهل حرم الله وجيران بيته وألاّف مسجده وعمرة بلاده قد استجاروا بعزّ معروفك من سيل تراكمت أخرياته في هدم البنيان وقتل الرجال والنسوان واجتياح الأصول وجرف الأبقال حتى ما ترك طارفا ولا تالداً للراجع اليهما في مطعم ولا ملبس فقد شغلهم طلب الغذاء عن الاستراحة الي البكاء على الأمهات والأولاد والآباء والاجداد فأجرهم يا أمير المؤمنين بعطفك عليهم واحسانك اليهم تجد الله مكافئك عنهم ومثيبك عزّ الشكر منهم :: قال فوجه اليهم المأمون بالأموال الكثيرة ٠٠ وكتب الى عبيد الله أما بعد فقد وصلت شكيتك لأهل حرم الله امير المؤمنين فبكاهم بقلب رحمته وانجدهم بسيب نعمته وهو متبع ما أسلف اليهم بما يخلفه عليهم عاجلا وآجلا ان أذن الله في تثبيت عزمه على صحة نيته ٠٠ قال فصار كتابه هذا آنس لأهل مكة من الأموال التى أنفذها اليهم :: قال وكتب جعفر بن محمد بن الاشعث الى يحيي بن خالد يستعفيه من العمل :: شكرى لك على ما أريد الخروج منه شكر من سأل الدخول فيه :: قال وكتب على بن هشام الى اسحاق بن ابراهيم الموصلى :: ما أدرى كيف أصنع أغيب فأشتاق وألتقى ولا أشتفى ثم يُحْدِث لي اللقاء الذى طلبت منه الشفاء نوعا من الحرقة للوعة الفرقة :: قال وكتب معقل الى أبى دلف فلان جميل الحال عند الكرام فان أنت لم ترتبطه بفضلك عليه فعل غيرك ٠٠ وكتب أبو هاشم الحربى الى بعض الامراء :: غرضى من الامير مُعوِز والصبر على الحرمان مُعْجِز :: وكتب آخر الي صديق له :: أما بعد فقد أصبح لنا من فضل الله ما لا نحصيه مع كثرة ما نعصيه وما ندرى ما نشكر أجميل ما نشر أم كثير ما ستر أم عظيم ما أبلى أم كثير ما عفى غير انه يلزمنا فى كل الامور شكره ويجب علينا حمده فاستزد الله في حسن بلائه كشكرك على حسن آلائه

﴿ ضـلّه ﴾

﴿ قال الجاحظ ﴾ كتب ابن المراكبي الى بعض ملوك بغـداد :: جُعِلْتُ فداك برحمته .. قال وقرأت على عنوان كتاب لابى الحسن الشّمّرِى .. للموت لنا قبلة .. وقرأت أيضاً على عنوان كتاب .. الي الذي كتبَ إليّ

محاسن الجواب

قال دخل رجل على كسرى ابرويز ، فشكى اليه عاملا غصبه على ضيعة له .. فقال له كسرى منذ كم هى في يدك قال منذ أربعين سنة قال فأنت تأكلها أربعين سنة ماعليك أن يأكل عاملى منها سنة واحدة فقال وما كان على الملك أن يأكل بهرام جور الملك سنة واحدة فقال ادفعوا فى قفاه فأخرجوه فلما خرج أمكنته التفاتة فقال دخلت بمظلمة وخرجت بثنتين فقال كسرى ردوه وأمر برد ضيعته وصيّره في خاصته .. ويقال ان سعيد بن مرّة الكندى حين أتى معاوية .. قال له أنت سعيد قال أمير المؤمنين سعيد وأنا ابن مرّة .. قال ودخل السيد بن أنس الازدى على المأمون .. فقال أنت السيد فقال أنت السيد يا أمير المؤمنين وأنا ابن أنس .. قال وقيل للعباس بن عبد المطلب أنت أكبر أم رسول الله صلى الله عليه وسلم قال هو عليه الصلاة والسلام أكبر منى وأنا وُلِدْت قبله .. قال وقال الحجّاج للمهلّب أنا أطول أم أنت قال الامـير أطول وأنا أبسط قامة منه .. قيل ووقف المهدي علي امرأة من بني ثُعل فقال لها ممن العجوز قالت من طيء قال ما منع طيئاً أن يكون فيها آخر مثل حاتم قالت الذى منع العرب أن يكون فيهـا آخر مثلك فأعجب بقولها ووصلها .. قيل ولما استوثق أمر العراق لعبد الله بن الزبير وجّه مصعب اليه وفداً فلما قدموا عليه قال لهم وددت أن لي بكل خمسة منكم رجلا من أهل الشام فقال رجل من أهل العراق يا أمير المؤمنين خَلِقْناك وخَلِقْتَ بأهل الشام وخَلِق أهل الشام بآل مروان فما أعرف لنا مثلا إلا .. قول الاعشى

عُلِّقتُها عَرَضاً وعُلِّقتْ رَجُلاً غيري وعُلِّقَ أُخرَى غيرَها الرَّجُلُ

فما وجدنا جواباً أحسن من هذا .. قال وقال مسلمة بن عبد الملك .. ما شيء يؤتى العبد بعد الايمان بالله تعالى أحب إليّ من جواب حاضر فان الجواب اذا انعقب لم يكن شيئاً

﴿ ضدّه ﴾

قال اجتمع عند رسول الله صلى الله عليه وسلم الزبرقان بن بدر وعمرو بن الاهتم فذكر عمرو الزبرقان قال .. بأبي أنت وأمي يا رسول الله انه لمطاع في أدانيه شديد العارضة مانع لما وراء ظهره .. فقال الزبرقان بأبي أنت وأمي يا رسول الله انه ليعرف مني أكثر من هذا ولكنه يحسدني .. فقال عمرو والله يا نبي الله ان هذا لزَمِرُ المروءة ضيّق العَطَن لئيم العمّ أحمق الخال فرأى الكراهية في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم لما اختلف قوله فقال .. يا رسول الله ما كذبت في الأولى ولقد صدقت في الأخرى ولكني رضيت فقلت أحسن ما علمت وسخطت فقلت أسوأ ما أعلم .. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن من البيان لسحرا وإن من الشعر لحكما .. وذكروا ان الوليد بن عقبة قال لعقيل بن أبي طالب .. غلبك عليّ على الثروة والعدد .. قال وسبقني وإيّاك الى الجنة .. قال الوليد أما والله إن شدقيك لمتضمخان من دم عثمان .. قال عقيل مالك ولقريش وانما أنت فيهم كمنيح الميسر .. فقال الوليد والله اني لأرى لو أن أهل الارض اشتركوا في قتله لوردوا صَعُوداً .. فقال له عقيل كلاّ أما ترغب عن صحبة أبيك .. قال وقال رجل من قريش لخالد بن صفوان ما اسمك قال خالد بن صفوان بن الاهتم .. قال ان اسمك لكذب ما أنت بخالد وان أباك لصفوان وهو حجر وان جدك لأهتم والصحيح خير من الأهتم .. قال له خالد من أي قريش أنت .. قال من عبد الدار بن قصيّ بن كلاب .. قال لقد هشمتك هاشم وأمّتك أميّة وجمحت بك جمح وخزمتك مخزوم وأقصتك قصيّ فجعلتك عبد دارها تفتح اذا دخلوا وتغلق اذا خرجوا .. قيل ومرّ الفرزدق فرأى خليفة الشاعر فقال له .. يا أبا فراس من القائل

هُوَ القَيْنُ وابْنُ القَيْنِ لا قَيْنَ مِثْلُهُ ... لِقَطْعِ المَساحِي أوْ لِجَدْلِ الأَداهِمِ

قال الفرزدق الذى يقول

هُوَ اللِّصُّ وابْنُ اللِّصِّ لا لِصَّ مِثْلُهُ ... لِنَقْبِ جِدارٍ أو لِطَرِّ الدَّراهِمِ

محاسن حفظ اللسان

قال أكثم بن صيفى .. مقتل الرجل بين فكيه ــ يعنى لسانه ــ وقال .. رب قول أشدّ من صول وقال .. لكل ساقطة لاقطة .. وقال المهلب لبنيه .. اتقوا زلّة اللسان فانى وجدت الرجل تعثر قدمه فيقوم من عثرته ويزلّ لسانه فيكون فيه هلاكه .. قال يونس بن عبيد .. ليست خلة من خلال الخير تكون فى الرجل هي أحرى أن تكون جامعة لأنواع الخير كلها من حفظ اللسان .. وقال قسامة بن زهير .. يا معشر الناس ان كلامكم أكثر من صمتكم فاستعينوا على الكلام بالصمت وعلى الصواب بالفكر .. وكان يقال ينبغى للعاقل أن يحفظ لسانه كما يحفظ موضع قدمه ومن لم يحفظ لسانه فقد سلّطه على هلاكه .. وقال الشاعر

عَلَيْكَ حِفْظَ اللِّسانِ مُجْتَهِدًا ... فإنَّ جُلَّ الهَلاكِ في زَلَلِهِ

غيره

وجُرْحُ السَّيْفِ تَأْسُوهُ فَيَبْرَأُ ... وجُرْحُ الدَّهْرِ ما جَرَحَ اللِّسانُ

جِراحاتُ الطِّعانِ لها الْتِئامُ ... ولا يَلْتَامُ ما جَرَحَ اللِّسانُ

غيره

إحْفَظْ لِسانَكَ لا تَقُولُ فَتُبْتَلى ... إنَّ البَلاءَ مُوَكَّلٌ بالمَنْطِقِ

غيره

لَعَمْرُكَ ما شَيْءٌ عَلِمْتُ مَكانَهُ ... أَحَقُّ بِسِجْنٍ مِنْ لِسانٍ مُذَلِّلِ

عَلَى فِيكَ مِمَّا لَيْسَ يَعْنِيكَ قَوْلُهُ بِقُفْلٍ شَدِيدٍ حَيْثُ مَا كُنْتَ فَاقْفِلِ

قيل ٠٠ تكلم أربعة من الملوك بأربع كلمات كأنما رميت عن قوس واحد ،، قال كسري ٠٠ أنا على ردّ ما لم أقل أقدر مني على ردّ ما قلت ،، وقال ملك الهند ٠٠ اذا تكلمت بكلمة ملكتني وإن كنت أملكها ،، وقال قيصر ٠٠ لا أندم على ما لم أقل وقد ندمت على ما قلت ،، وقال ملك الصين ٠٠ عاقبة ما قد جرى به القول أشدّ من الندم على ترك القول ،، وقال بعضهم ٠٠ من حصافة الانسان أن يكون الاستماع أحب اليه من النطق اذا وجد من يكفيه فانه لن يُعدم الصمت والاستماع سلامة وزيادة في العلم ،، وقال بعض الحكماء ٠٠ من قدر على أن يقول فيحسن فانه قادر على أن يصمت فيحسن ،، وقال بعضهم ٠٠ كان ابن عبيدة الريحاني المتكلم الفصيح صاحب التصانيف يقول ٠٠ الصمت أمان من تحريف اللفظ وعصمة من زيغ المنطق وسلامة من فضول القول ،، وقال أبو عبيد الله كاتب المهدي ٠٠ كن على التماس الحظ بالسكوت أحرص منك على التماسه بالكلام ،، وكان يقال ٠٠ من سكت فسلم كان كمن قال فغنم ،، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ٠٠ ان الله تعالى يكره الانبعاق في الكلام يرحم الله امرأً أوجز في كلامه واقتصر على حاجته ،، قيل وكلم رجل سقراط عند قتله بكلام أطاله فقال ٠٠ أنساني اول كلامك طول عهده فارق آخره فهمي لتفاوته ،، ولما قدّم ليقتل بكت امرأته فقال ٠٠ لها ما يبكيك قالت تقتل ظلماً قال وكنت تحبين أن أقتل حقاً أو أقتل ظلماً ٠٠ وشتم رجل المهلب فلم يُجبه فقيل له حلمت عنه فقال ما أعرف مساويه وكرهت أن أبهته بما ليس فيه ،، وقال سلمة بن القاسم عن الزبير قال ٠٠ حُملتُ الى المتوكل وأدخلت عليه فقال يا أبا عبد الله الزم أبا عبد الله ــ يعني المعتزّ ــ حتى تعلمه من فقه المدنيين فأدخلت حجرة فاذا أنا بالمعتزّ قد أتى في رجله نعل من ذهب وقد عثر به فسال دمه فجعل يغسل الدم ٠٠ ويقول

يُصابُ الفتى من عثرةٍ بلسانهِ وليس يُصابُ المرءُ من عثرةِ الرِّجلِ
فعثرتُهُ من فيهِ ترمي برأسهِ وعثرتُهُ بالرِّجلِ تبرا على مهلِ

فقلت فى نفسى ضممتُ الى من أريد أن أتعلم منه

﴿ ضـدّه ﴾

سئل بعض الحكماء عن المنطق فقال .. انك تمدح الصمت بالمنطق ولا تمدح المنطق بالصمت وما عُبِّرَ به عن شئ فهو أفضل منه .. وسئل آخر عنهما فقال .. أخزى الله المساكتة ما أفسدها للّسان وأجلبها للعيّ ووالله للمماراة فى استخراج حق أهدم للعي من النار في يابس العرفج فقيل له قد عرفت ما فى المماراة من الذم فقال ما فيها أقل ضرراً من السكتة التى تورث عللا وتولد داء أيسره العيّ .. وقال بعض الحكماء .. اللسان عضو فان مرّنته مرّن وان تركته حَرُن .. وممن أفرط فى قوله فاستقيل بالحلم .. ماحكى عن شهرام المروزي فانه جرى بينه وبين أبي مسلم صاحب الدولة كلام فما زال أبو مسلم يحاوره الى أن قال له شهرام يا لَقْطَة فصمت ابو مسلم وندم شهرام على ما سبق به لسانه وأقبل معتذراً خاضعاً ومتنصلا فلما رأى ذلك أبو مسلم قال لسان سبق ووهم بأخطأ وانما الغضب شيطان والذنب لى لأنى جرّأتك على نفسى بطول احتمالى منك فان كنت معتمداً للذنب فقد شركتك فيه وان كنت مغلوبا فالعذر يسعك وقد غفرنا لك على كل حال قال شهرام أيها الملك عفو مثلك لا يكون غَروراً قال أجل قال وان عظيم ذنبي لن يدع قلبي يسكن ولجّ في الاعتذار فقال أبو مسلم يا عجبا كنت تسيئ وأنا أحسن فاذ أحسنتُ أسأتَ

محاسن كتمانه السر

قال كان المنصور يقول .. الملك يحتمل كل شئ من اصحابه الا ثلاثاً إفشاء السر والتعرّض للحرم والقدح فى الملك .. وكان يقول سرّك من دمك فانظر من تملّكه .. وكان يقول سرّك لا تطلع عليه غيرك وإن من أنفذ البصائر كتمان السرّ حتى يبرم المبروم .. وقيل لأبى مسلم بأي شئ ادركت هذا الامر قال .. ارتديت بالكتمان واتّزرت

بالحزم وحالفت الصبر وساعدت المقادير فأدركت طلبتي وحزت بغيتي .. وأنشد في ذلك

أَدْرَكْتُ بالحَزْمِ والكِتْمانِ ما عَجَزَتْ ... عَنهُ مُلوكُ بَني مَرْوانَ إذْ حَشَدُوا

ما زِلْتُ أَسْعَى عليهِمْ في دِيارِهِم ... والقَوْمُ في مُلْكِهِمْ بالشامِ قَدْ رَقَدُوا

حَتَّى ضَرَبْتُهُمُ بالسَّيْفِ فانْتَبَهُوا ... مِنْ نَوْمَةٍ لَمْ يَنَمْها قَبْلَهُمْ أَحَدُ

ومَنْ رَعَى غَنَماً في أَرْضِ مَسْبَعَةٍ ... ونامَ عَنْها تَوَلَّى رَعْيَها الأَسَدُ

قال .. وقال عبد الملك بن مروان للشعبي لما دخل عليه .. جنبني خصالا اربعاً لا تطريني في وجهي ولا تجرين عليّ كذبة ولا تغتابن عندي احداً ولا تفشين لي سراً .. وقال النبي صلى الله عليه وسلم .. استعينوا على إنجاح حوائجكم بكتمان السر فان كلّ ذي نعمة محسود .. وانشد اليزيدي في ذلك

النَّجْمُ أَقْرَبُ مِنْ سِرٍّ إذا اشْتَمَلَتْ ... مِنّي على السِّرِّ أَضْلاعٌ وأَحْشاءُ

غيره

ونَفْسَكَ فاحْفَظْها ولا تُفْشِ للعِدَى ... مِنَ السِّرِّ ما يَطْوِي عليهِ ضَمِيرُها

فَما يَحْفَظُ المَكْتُومَ مِنْ سِرِّ أَهْلِهِ ... إذا عُقِدُ الأَسْرارِ ضاعَ كَثِيرُها

مِنَ القَوْمِ إلاَّ ذُو عَفافٍ يُعِينُهُ ... على ذاكَ مِنْهُ صِدْقُ نَفْسٍ وخَيرُها

قال معاوية بن ابي سفيان .. أُعِنْتُ على عليّ بن أبي طالب بأربع خصال كان رجلا ظُهَرَةً عُلانَةً لا يكتم سراً وكنت كتوماً للسر وكان لا يسمح حتى يفاجئ الامر مفاجأة وكنت أبادر الى ذلك وكان في أخبث جند وأشدّهم خلافا وكنت في أطوع جند وأقلهم خلافاً وكنت أحب الى قريش منه فنلت ما شئت فلله من جامع إلي ومفرق عنه .. وكان يقال .. لكاتم سرّه من كتمانه إحدي فضيلتين الظفر بحاجته والسلامة من شره فمن أحسن فليحمد الله وله المنة عليه ومن أساء فليستغفر الله .. وقال بعضهم .. كتمانك سرّك يعقبك السلامة وإفشاؤك سرك يعقبك الندامة والصبر على كتمان السرّ أيسر من الندم علي افشائه .. وقال بعضهم ما أقبح بالانسان أن يخاف على ما في يده من اللصوص

فيخفيه ويمكّن عدوه من نفسه باظهاره ما في قلبه من سرّ نفسه وسرّ اخيه ومن عجز عن تقويم امره فلا يَلُومَنْ إلا نفسه ان لم يستقم له .. وقال معاوية ما افشيت سرّي الى احد الا أعقبني طول الندم وشدّة الأسف ولا اودعته جوانح صدري فحكمته بين اضلاعي إلا أكسبني مجداً وذكراً وسناءً ورفعة فقيل ولا ابن العاص قال ولا ابن العاص .. وكان يقول .. ما كنت كاتمه من عدوّك فلا تظهر عليه صديقك .. وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كتم سره كانت الخيرة فى يده ومن عرض نفسه للتهمة فلا يلومنّ من أساء به الظن وضع أخيك على أحسنه ولا تظنن بكلمة خرجت منه سوءً ما كنت واجداً لها في الخير مذهباً وما كافأت من عصى الله فيك بأفضل من أن تطيع الله جل اسمه فيه وعليك باخوان الصدق فانهم زينة عند الرخاء وعصمة عند البلاء ..

وحدث ابراهيم بن عيسى قال ،، ذاكرت المنصور ذات يوم فى أبي مسلم وصونه السر وكتمه حتى فعل مافعل ،، فأنشد

تقسّمني أمْرَانِ لمْ أفْتتحْهما ... بحَزْمٍ ولمْ تعْرُكْهما لي الكرَائِرُ
وما ساوَرَ الأحْشاءَ مثْلُ دَفينةٍ ... منَ الهمِّ رَدَّتْها اليْكَ المَعاذِرُ
وقدْ علِمتْ أفْناءُ عدْنانَ أنّني ... على مثْلِها مِقْدامةٌ متجاسِرُ

وقال آخر

صُنِ السِّرَّ بالكتْمانِ يُرْضِكَ غبُّهُ ... فقدْ يظْهرُ السِّرُّ المُضيعُ فيَنْدَمُ
ولا تُفْشِيَنْ سِرًّا إلى غيْرِ أهْلِهِ ... فيَظْهرُ خرْقُ الشَّرِّ منْ حيْثُ يُكْتَمُ
وما زِلْتُ في الكِتْمانِ حتّى كأنّني ... برَجْعِ جوَابِ السّائِلي عنْهُ أعْجَمُ
لِنَسْلَمَ منْ قوْلِ الوُشاةِ وتَسْلَمي ... سلِمْتِ وهلْ حيٌّ على الدّهْرِ يَسْلَمُ

وقال آخر

أمِنّي تخافُ انْتشارَ الحَديثِ ... وحَظّيَ في سَتْرِهِ أوْفرُ

ولو لم أَصُنْهُ لِبُقْيا عَلَيْكَ نَظَرْتُ لنَفْسِي كما تَنْظُرُ

وقال أبو نواس

لا تُفْشِ أَسْرارَكَ لِلنَّاسِ ودَاوِ أَحْزانَكَ بالكَاسِ

فإِنَّ إِبْلِيسَ على ما بِهِ أَرْأَفُ بالنَّاسِ مِنَ النَّاسِ

وقال المبرد .. أحسن ما سمعت فى حفظ اللسان والسر ما روى لأمير المؤمنين علىّ بن أبى طالب كرم الله وجهه

لَعَمْرُكَ إِنَّ وُشاةَ الرِّجا لِلاَيَتْرُكونَ أَدِيماً صَحِيحا

فلاَ تُبْدِ سِرَّكَ إِلاَّ إِلَيْكَ فانَّ لِكُلِّ نَصِيحٍ نَصِيحا

وقال العتبي

ولي صاحبٌ سِرِّي المُكَتَّمُ عندَهُ مَحارِيقُ نِيرانٍ بلَيْلٍ تُحَرَّقُ

غدَوْتُ على أَسرارِهِ فكَسَوْتُها ثِياباً مِنَ الكِتْمانِ ما تَتَخَرَّقُ

فمَنْ كانتِ الأَسْرارُ تَطْفُو بِصَدْرِهِ فأَسْرارُ صَدْرِي بالأَحادِيثِ تُغْرَقُ

فلاَ تُوْدِعَنَّ الدَّهْرَ سِرَّكَ أَحْمَقاً فإِنَّكَ إِنْ أَوْدَعْتَهُ منْهُ أَحْمَقُ

وحَسْبُكَ فِي سَتْرِ الأَحادِيثِ واعِظاً مِنَ القَوْلِ ما قالَ الأَدِيبُ المُوَفَّقُ

إِذَا ضاقَ صَدْرُ المرءِ عنْ سِرِّ نفسه فصَدْرُ الَّذِي يُسْتَودَعُ السِّرَّ أَضْيَقُ

وقال آخر

لاَ يكتمُ السرَّ إلاَّ كلُّ ذِي خطَرٍ والسِّرُّ عِندَ كِرامِ النَّاسِ مكْتُومُ

والسِّرُّ عِنْدِي فى بَيْتٍ لهُ غَلَقٌ قدْ ضاعَ مِفْتاحُهُ والبابُ مَرْدُومُ

قيل .. دخل أبو العتاهية على المهدي وقد ذاع شعره فى عُتبة فقال ما أحسنت فى حبّك ولا أجملت فى إذاعة سرك .. فقال

مَنْ كانَ يَزْعُمُ أنْ سيكتُمُ حُبَّهُ ... أو يَستطيعُ السِّتْرَ فهو كَذُوبُ
الحُبُّ أغلَبُ للرِّجالِ بقَهْرِهِ ... مِنْ أنْ يُرَى للسِّرِّ فيهِ نَصيبُ
وإذا بَدَا سِرُّ اللَّبيبِ فإنَّهُ ... لمْ يَبْدُ إلاَّ والفَتى مَغْلوبُ
إنّي لَأَحْسُدُ ذاهَوىً مُستَحْفِظاً ... لمْ تَتَّهِمْهُ أعْيُنٌ وقُلوبُ

فاستحسن المهدى شعره وقال .. قد عذرناك على إذاعة سرك ووصلناك على حسن شعرك ان كتمان السر أحسن من إذاعته .. وقال زياد لكل مستشير ثقة وان الناس قد ابتدعت بهم خصلتان اذاعة السر وترك النصيحة وليس للسر موضع إلا أحد رجلين إما آخري يرجو ثواب الله أو دنياوي له شرف في نفسه وعقل يصون به حسبه وهما معدومان في هذا الدهر .. وقال المهلب .. ما ضاقت صدور الرجال عن شئ كما تضيق عن السر .. كما قال الشاعر

ولرُبَّما كتَمَ الوَقُورُ فصرَّحَتْ ... حَرَكاتُهُ للنَّاسِ عنْ كِتْمانِهِ
ولرُبما رُزِقَ الفتى بسكوتِهِ ... ولرُبَّما حُرِمَ الفتى ببيانِهِ

وقال آخر

إذا أنتَ لمْ تَحْفَظْ لنفسِكَ سِرَّها ... فسِرُّكَ عِندَ النَّاسِ أفْشَى وأضْيَعُ

وقال آخر

لِسانى كَتُومٌ لأَسْرارِكم ... ودمْعِي نَمُومٌ لِسِرِّي مُذِيعُ
فلَوْلا الدُّموعُ كَتَمْتُ الهَوَى ... ولَوْلا الهَوَى لَمْ تَكُنْ لي دُمُوعُ

محاسن المشورة

يقال .. إذا استخار الرجل ربه واستشار نصيحه واجتهد فقد قضى ماعليه ويقضى

الله فى أمره ما يحب .. وقال آخر حسن المشورة من المشير قضاء حق النعمة .. وقيل اذا استُشِرتَ فانصح وإذا قدرت فاصفح .. وقيل من وعظ أخاه سراً زانه ومن وعظه جهراً شانه .. وقال آخر الاعتصام بالمشورة نجاة .. وقال آخر نصف عقلك مع أخيك فاستشره .. وقال آخر اذا أراد الله لعبد هلاكا أهلكه برأيه .. وقال آخر المشورة تقوّم اعوجاج الرأي .. وقال آخر إيّاك ومشورة النساء فان رأيهنّ الى أفن وعزمهنّ الى وهن

﴿ ضدّه ﴾

قال بعض أهل العلم .. لو لم يكن فى المشورة الا استضعاف صاحبك لك وظهور فقرك اليه لوجب اطّراح ما تفيدُه المشورة والقاء ما يكسبه الامتنان وما استشرت أحداً إلا كنت عند نفسي ضعيفاً وكان عندى قوياً وتصاغرتُ له ودخلته العزّة فايّاك والمشورة وان ضاقت بك المذاهب واختلفت عليك المسالك وأدّاك الاستبهام الى الخطأ الفادح فان صاحبها أبداً مستذلّ مستضعف وعليك بالاستبداد فان صاحبه أبداً جليل في العيون مهيب في الصدور ولن تزال كذلك ما استغنيت عن ذوى العقول فاذا افتقرت اليها حقرتك العيون ورجفت بك أركانك وتضعضع بنيانك وفسد تدبيرك واستحقرك الصغير واستخف بك الكبير وعُرِفتَ بالحاجة اليهم .. وقيل نعم المستشار العلم ونعم الوزير العقل .. وممن اقتصر على دون المشورة الشعبي فانه خرج مع ابن الأشعث فقُدم به على الحجاج فلقيه يزيد بن أبي مسلم كاتب الحجاج فقال له أشر علىّ فقال لا أدرى بما أشير ولكن اعتذر بما قدرت عليه وأشار بذلك عليه كافة أصحابه .. قال الشعبي فلما دخلت خالفت مشورتهم ورأيت والله غير الذى قالوا فسلمت عليه بالإمرة ثم قلت أيّد الله الأمير ان الناس قد امرونى ان اعتذر بغير ما يعلم الله انه الحقّ ولك الله أن لا أقول في مقامي هذا إلا الحق قد جهدنا وحرّضنا فما كنا بالأقوياء الفجرة ولا الأتقياء البررة ولقد نصرك الله علينا وأظفرك بنا فان سطوتَ فبذنوبنا وإن عفوت فبحلمك والحجة لك علينا .. فقال الحجاج أنت والله أحب الينا قولا ممن يدخل علينا

وسيفه يقطر من دمائنا ويقول والله ما فعلت ولا شهدت أنت آمن يا شعبي فقلت أيها الأمير اكتحلت والله بعدك السهر واستحلست الخوف وقطعت صالح الاخوان ولم أجد من الأمير خلفاً .. قال صدقتَ وانصرفتُ

محاسن الشكر

قال بعض الحكماء .. صُنْ شكرك عمن لا يستحقه واستر ماء وجهك بالقناعة .. وقال الفضل بن سهل من أحب الازدياد من النعم فليشكر ومن أحب المنزلة فليكف ومن أحب بقاء عزه فليسقط دالّته ومكره .. ومن ذلك قول رجل لرجل شكره فى معروف

لقدْ ثبتتْ في القلْبِ منكَ مودّةً كما ثبتتْ في الرّاحتينِ الأصابعُ

قال .. واصطنع رجل رجلاً فسأله يوماً أتحبنى يا فلان قال نعم أحبك حباً لو كان فوقك لأظلّك أو كان تحتك لأقلّك .. وقال كسرى أنو شروان المنعم أفضل من الشاكر لأنه جعل له السبيل الى الشكر .. واختصر حبيب بن أوس هذا في مصراع واحد فقال

لهانَ علينا أنْ نقولَ وتفعلا

الباهلى عن ابى فروة قال ،، مكتوب فى التوراة اشكر من انعم عليك وانعم على من شكرك فانه لا زوال للنعم اذا شكرت ولا اقامة لها اذا كفرت والشكر زيادة فى النعم وامان من الغير ،، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم .. خمس تعاجل صاحبهن بالعقوبة البغي والغدر وعقوق الوالدين وقطيعة الرحم ومعروف لا يشكر ،، وانشد الحطيئة عمر وكعب الأحبار عنده

مَنْ يفعلِ الخيرَ لا يعدمْ جوازيهُ لا يذهبُ العُرْفُ بينَ اللهِ والنّاسِ

فقال كعب ،، يا أمير المؤمنين من هذا الذى قال هذا فانه مكتوب فى التوراة فقال عمر كيف ذلك قال في التوراة مكتوب ٠٠ من يصنع الخير لا يضيع عندي لا يذهب العرف بيني وبين عبدى ٠٠ وقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم أليس قد غفرالله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر فما هذا الاجتهاد فقال ،، أفلا أكون عبداً شكوراً ٠٠ وفي الحديث ان رجلا قال فى الصلاة خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم ،، اللهم ربنا لك الحمد حمداً مباركا طيبا زكياً فلما انصرف صلى الله عليه وسلم قال أيكم صاحب الكلمة قال أحدهم أنا يا رسول الله فقال لقد رأيت سبعة وثلاثين ملكا يبتدرون أيهم يكتبها أولا ٠٠ وقيل نسيان النعمة أول درجات الكفر ،، وقال أمير المؤمنين على رضي الله عنه المعروف يكفّر من كفره لأنه يشكرك عليه أشكر الشاكرين .. وقد قيل فى ذلك

يَدُالمَعْرُوفِ غُنْمٌ حَيثُ كانتْ ... تَحَمَّلَها كَفُورٌ أمْ شَكُورُ

فعِنْدَ الشَّاكِرِينَ لها جَزَاءٌ ... وعِنْدَاللهِ ما كَفَرَ الكَفُورُ

،، وقال بعض الحكماء ما أنعم الله على عبد نعمة فشكر عليها إلا ترك حسابه عليها ،، وقال بعض الحكماء عند التراخي عن شكر النعم تحلّ عظائم النقم :: وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم كثيراً ما يقول لعائشة ما فعل بيتك فتنشده

يَجْزِيكَ أوْيُثْنِي عليكَ وإنَّ مَنْ ... أثْنى عليكَ بما فَعلْتَ كَمَنْ جَزَى

فيقول صلى الله عليه وسلم صدق القائل يا عائشة إن الله إذا أجرى على يد رجل خيراً فلم يشكره فليس لله بشاكر :: وقيل لذى الرمة لِمَ خصصت بلال بن أبى بردة بمدحك قال ٠٠ لأنه وطّأ مضجعي وأكرم مجلسي وأحسن صلتي فحق لكثير معروفه عندي أن يستولي على شكرى :: ومنهم من يُقدّم ترك مطالبة الشكر وينسبه الى مكارم الاخلاق :: من ذلك ما قاله بزرجمهر من انتظر بمعروفه شكرك عاجل المكافأة :: وقال بعض الحكماء إن الكفر يقطع مادة الانعام فكذلك الاستطالة بالصنيعة تمحق الأجر ،، وقال علىّ بن عبيدة من المكارم الظاهرة وسنن النفس الشريفة ترك طلب الشكر

على الاحسان ورفع الهمة عن طلب المكافأة واستكثار القليل من الشكر واستقلال الكثير مما يبذل من نفسه .. وفي فصل من كتاب ولست أقابل أياديك ولا استديم احسانك إلا بالشكر الذى جعله الله للنعم حارساً وللحق مؤدّياً وللمزيد سبباً

﴿ ضدّه ﴾

قال بعض الحكماء .. المعروف الى الكرام يعقب خيراً والى اللئام يعقب شراً ومثل ذلك مثل المطر يشرب منه الصدف فيعقب لؤلؤا وتشرب منه الأفاعي فيعقب سُمًّا .. وقال سفيان وجدنا أصل كل عداوة اصطناع المعروف الي اللئام .. وقال أنارَ جماعة من الأعراب ضبعاً فدخلت خباء شيخ منهم فقالوا أخرجها فقال ما كنت لأفعل وقد استجارت بي فانصرفوا وقد كانت هزيلا فأحضر لها لقاحاً وجعل يسقيها حتى عاشت فنام الشيخ ذات يوم فوثبت عليه فقتلته .. فقال شاعرهم في ذلك

ومَنْ يَصْنَعِ المَعْرُوفَ مَعَ غيرِ أهلِهِ ... يُلاقِ الذي لاقَى مُجيرُ أُمِّ عامرِ

أقامَ لها لمَّا أناختْ ببابِهِ ... لتَسْمَنَ أَلْبانَ اللِّقاحِ الدَّرائرِ

فأَسْمَنَها حتَّى إذا ما تمكَّنَتْ ... فَرَتْهُ بأَنيابٍ لها وأَظافرِ

فقُلْ لذَوي المَعْروفِ هذا جزاءُ مَنْ ... يَجُودُ بإِحسانٍ إلى غيرِ شاكرِ

قيل .. وأصاب إعرابي جرو ذئب فاحتمله الى خبائه وقرّب له شاة فلم يزل يمتصّ من لبنها حتى سمن وكبر ثم شدّ على الشاة فقتلها .. فقال الاعرابي يذكر ذلك

غذتْكَ شُوَيْهَتِي ونَشَأْتَ عِنْدِي ... فمَنْ أذراكَ أنَّ أباكَ ذِيبُ

فجَعْتَ نُسَيَّةً وصِغارَ قَوْمٍ ... بِشاتِهِمُ وأَنتَ لها رَبِيبُ

إذا كانَ الطِّباعُ طِباعَ سَوْءٍ ... فلَيْسَ بنافعٍ أَدَبُ الأَدِيبِ

وفي المثل .. سَمِّنْ كلبك يا كُلْبَ .. وأنشد

هُمُ سَمَّنُوا كَلْبًا لِيأْكُلَ بَعْضَهُمْ ... ولوْ عَمِلوا بالحَزْمِ ما سَمَّنُوا كَلْبَا

وقال آخر

وإنى وقَيْسًا كالمُسَمِّنِ كَلْبَهُ ... فَخَدَّشَهُ أَنْيابُهُ وأَظافِرُه

ويضرب المثل بِسِنِمَّار ،، وكان بنى للنعمان بن المنذر الخورنق فأعجبه وكره أن يبنى لغيره مثله فرمى به من أعلاه فمات ،، فقيل فيه

جَزَيْنا بَنى سَعْدٍ بِحُسْنِ بَلائِهِمْ ... جَزاءَ سِنِمَّارٍ وما كانَ ذا ذَنْبِ

وقال بشّار (١)

أُثْنِي عليكَ ولى حالٌ تُكَذِّبُنِي ... فيما أَقولُ فأَستَحيي مِنَ النَّاسِ

قد قُلتُ إِنَّكَ باحفْصٍ لأَكْرَمُ مَنْ ... يَمْشِي فخاصَمَنى فى ذاكَ إفْلاسِي

حَتَّى إذا قيلَ ما أَعْطاكَ مِنْ صِفَةٍ ... طَأْطَأْتُ مِنْ سُوءِ حالى عِنْدَها راسِي

ولأبى الهول

كأَنِّي إذْ مَدَحْتُكَ يا بْنَ مَعْنٍ ... رَآنِي النَّاسُ في رَمَضانَ أَزْنِى

فإِنْ أَكُ رُحْتُ عَنكَ بغيرِ شَىْءٍ ... فلا تَفْرَحْ كذلكَ كانَ ظَنِّي

وقال آخر

لَحَى اللهُ قَوْمًا أَعْجَبَتْهُمْ مَدائِحِي ... فقالوا مَقالاً فى مَلامٍ وفي عَتْبِ

أَبا حازِمٍ تَمْدَحْ فقُلتُ مُعَذِّرًا ... هَبُونِى امْرَأً جَرَّبْتُ سَيْفِي فى كَلْبِ

وقال آخر

عُثْمانُ يَعلَمُ أَنَّ الحَمْدَ ذو ثَمَنٍ ... لَكِنَّهُ يَشتَهِي حَمْدًا بِمَجَّانِ

والنَّاسُ أَكْيَسُ مِنْ أَنْ يَمْدَحوا رَجُلاً ... حَتَّى يَرَوْا عِنْدَهُ آثارَ إِحْسانِ

---

(١) ــ المشهور ان الأبيات لأبى العتاهية ،، وأولها

يا ابن العلاء ويا ابن القرم سرداسي ... اني أتيتك فى صحبي وجلاسي

وقال آخر

يُحِبُّ المَدِيحَ أبو خالِدٍ ... ويَغْضَبُ مِن صِلَةِ المادِحِ
كَبِكْرٍ تُحِبُّ لَذِيذَ النِكاحِ ... وتَجْزَعُ مِن صَولَةِ النّاكِحِ

وقال آخر

ولو كانَ يَستَغْنِي عَنِ الشكرِ سَيِّدٌ ... لِعِزَّةِ مُلْكٍ أو عُلُوِّ مَكانِ
لَمَا أَمَرَ اللهُ العِبادَ بِشُكْرِهِ ... فقالَ اُشْكُرُونِي أَيُّها الثَّقَلانِ

محاسن الصدق

قال بعض الحكماء .. عليك بالصدق فما السيف القاطع في كفّ الرجل الشجاع بأعزّ من الصدق والصدق عزّ وإن كان فيه ما تكره والكذب ذل وإن كان فيه ما تحبّ ومن عُرِف بالكذب اتُّهم في الصدق .. وقيل الصدق ميزان الله الذي يدور عليه العدل والكذب مكيال الشيطان الذي يدور عليه الجور .. وقال ابن السماك ما أحسبني أوجر على ترك الكذب لأني أتركه أنفة .. وقال آخر لو لم يترك العاقل الكذب إلا مروءة لكان بذلك حقيقاً فكيف وفيه المأثم والعار .. وقال الشعبي عليك بالصدق حيث ترى انه يضرك فانه ينفعك واجتنب الكذب حيث ترى انه ينفعك فانه يضرك .. وقال بعضهم الصدق عزّ والكذب خضوع .. ومُدِح قوم بالصدق منهم ابو ذرّ رضى الله عنه فان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ،، ما أظلت الخضراء ولا أقلت الغبراء ولا طلعت الشمس على ذى لهجة أصدق من أبي ذرّ ،، ومنهم العباس بن عبد المطلب رضى الله عنه فانه روي انه أطلع على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده جبريل فقال له جبريل هذا عمّك العبّاس قال نعم قال ان الله تعالى يأمرك أن تقرأ عليه السلام وتعلمه ان اسمه عند الله الصادق وان له شفاعة يوم القيامة فأخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك فتبسم فقال ان شئت أخبرتك مما به تبسمت وان شئت أن تقول

فقل فقال بل تعلمني يارسول الله فقال ،، لأنك لم تحالف يمينا في جاهلية ولا اسلام برّة ولا فاجرة ولم تقتل لسائل لا ،، قال والذى بعثك بالحق نبياً ما تبسمت إلا لذلك ،، ويروى ان رجلا أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ،، انى استسرّ بخلال الزنا والسرقة وشرب الخمر والكذب فأيهنّ أحببتَ تركته ،، قال دع الكذب فمضى الرجل فهمّ بالزّنا فقال يسألني رسول الله صلى الله عليه وسلم فان جحدت نقضت ما جعلته له وان أقررت حُدِدْت فلم يزن فهمّ بالسرقة وشرب الخمر ففكر في ذلك فرجع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له قد تركتهن أجمع ،، فأمّا من رُخّصَ له فى الكذب فيروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ،، لا يصلح الكذب إلا فى ثلاث كذب الرجل لأهله ليرضيها وكذب فى إصلاح ما بين الناس وكذب فى حرب ،، وروي عن المغيرة بن ابراهيم انه قال ،، لم يرخّص لأحد في الكذب إلا للحجاج ابن عِلاط فانه لما فُتحت خيبر قال يارسول الله ان لي عند امرأة من قريش وديعة فأذن لي يا رسول الله أن أكذب عليك كذبة لعلي أستلّ وديعتي فرخّص له في ذلك فقدم مكة فأخبرهم انه ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم أسيراً في أيديهم يأتمرون فيه فقائل يقول يقتل وقائل يقول لا بل يبعث به الى قومه فتكون مِنّةً فجعل المشركون يتباشرون بذلك ويسيئون العبّاس عمّ رسول الله صلى الله عليه وسلم والعبّاس يريهم التجمل وأخذ الرجل وديعته فاستقبله العباس وقال ويحك ما الذى أخبَرت به فأعلمه السبب ثم أخبره ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد فتح خيبر ونكح صفية بنت حيي ابن أخطب وقتل زوجها وأباها ،، ثم قال اكتم علىّ اليوم وغداً حتى أمضي ففعل ذلك فلمّا مضى يومان أخبرهم العباس بالذي أخبره فقالوا من أخبرك بهذا قال من أخبركم بضدّه

﴿ ضدّه ﴾

قيل ،، وجد فى بعض كتب الهند ليس لكذوب مروءة ولا لضجور رياسة ولا لملول وفاء ولا لبخيل صديق ،، وقال قتيبة بن مسلم لا تطابن الحوائج من كذوب

فانه يقربها وإن كانت بعيدة ويبعدها وإن كانت قريبة ولا الى رجل قد جعل المسألة مأكلة فانه يقدم حاجته قبلها ويجعل حاجتك وقاية لها ولا إلى أحمق فانه يريد نفعك فيضرك .. وقيل أمران لا ينفكان من كذب كثرة المواعيد وشدة الاعتذار .. وقيل كفاك موبّخاً على الكذب علمك بأنك كاذب .. وقال رجل لأبي حنيفة ما كذبت قط قال أما هذه فواحدة .. وفي المثل هو أكذب من أخيذ السند .. وذلك انه يؤخذ الخسيس منهم فيزعم انه ابن الملك .. وكذلك يقال أكذب من سيّاح خراسان .. لأنهم يجتازون في كل بلد ويكذبون للسؤال والمسألة .. ويقال هو أكذب من الشيخ الغريب .. وذلك انه يتزوج فى الغربة وهو ابن سبعين سنة فيزعم انه ابن أربعين .. ويقال هو أكذب من مسيلمة وبه يضرب المثل .. ومما قيل فى ذلك من الشعر

حَسْبُ الكَذُوبِ منَ البَلِيَّةِ بَعْضُ ما يُحْكَى عليهِ
ما إنْ سَمِعْتُ بكِذْبَةٍ مِنْ غيرِهِ نُسِبَتْ إليهِ

وقال آخر

لقَدْ أَخْلَفْتَنِي وحَلَفْتَ حتَّى إخالُكَ قدْ كَذَبْتَ وإنْ صَدَقْتَا
أَلاَ لا تَحْلِفَنَّ على كَلامٍ فأَكْذَبُ ما تكونُ إذا حَلَفْتَا

وقال آخر

قدْ كُنْتُ أُنْجِزُ دَهراً ما وَعَدْتُ إلى أنْ أَتْلَفَ الوَعْدُ ما جَمَعْتُ مِنْ نَشَبِ
فإنْ أَكُنْ صِرْتُ في وعْدِي أخا كَذِبٍ فنُصْرَةُ الصِّدْقِ أَفْضَتْ بي إلى الكَذِبِ

قال الأصمعي — قال الخليل بن سهل .. يا أبا سعيد أعلمت أنّ طول رمح رستم كان سبعين ذراعا من حديد مُصْمَت فى غلظ الراقود فقلت هاهنا اعرابى له معرفة فاذهب بنا اليه فحدّثه بهذا فذهبت به الى الاعرابيّ فحدّثه فقال الاعرابى .. قد سمعت بذلك وبلغنا أن رستم هذا كان هو واسفنديار أتيا لقمان بن عاد بالبادية فوجداه نائماً

ورأسه في حجر أمه فقالت لها ما شأنكما فقالا بلغنا شدّة هذا الرجل فأتيناه فانتبه فزعا من كلامهما فنفحهما فألقاهما الى أصبهان فقبرهما اليوم بها .. فقال الخليل قبّحك الله ما أكذبك قال يا ابن أخي ما بيّنّا شيئاً إلا وهو دون الراقود .. قيل وقدم بعض العمال من عمل فدعا قوماً الى طعامه وجعل يُحدّثهم بالكذب فقال بعضهم .. نحن كما قال الله عز وجل ﴿ سَمَّاعونَ لِلكَذِبِ أَكَّالُونَ لِلسُّحْتِ ﴾ .. قيل وكان رجال من أهل المدينة من بين فقيه وراوية وشاعر يأتون بغداد فيرجعون بحظوة وحال حسنة فاجتمع عدّة منهم فقالوا لصديق لهم لم يكن عنده شيء من الأدب .. لو أتيت العراق فلعلّك أن تصيب شيئاً .. قال أنتم أصحاب آداب تلتمسون بها .. فقالوا نحن نحتال لك فأخرجوه فلما قدم بغداد طلب الاتصال بعليّ بن يقطين وشكا اليه الحاجة فقال ماعندك من الأدب فقال ليس عندي من الأدب شيء غير اني أكذب الكذبة وأخيل الى من يسمعها اني صادق وكان ظريفاً مليحاً فأعجب به وعرض عليه مالا فأبى أن يقبله وقال ما أريد منك الا أن تسهل أذني وتدني مجلسي قال ذاك لك وكان من أقرب الناس اليه مجلساً حتى عُرف بذلك .. وكان المهديّ قد غضب على رجل من القوّاد واستصفى ماله وكان يختلف الي عليّ بن يقطين رجاء أن يكلم له المهديّ وكان يرى تمرب المدينيّ ومكانه من عليّ فأتى المدينيّ القائدَ عشياً فقال ما البشرى قال لك البشرى وحكمك قال أرسلني عليّ بن يقطين اليك وهو يقرؤك السلام ويقول قد كلمت أمير المؤمنين في أمرك ورضي عنك وأمر بردّ مالك وضياعك ويأمرك بالغدوّ اليه لتغدوا معه الي أمير المؤمنين متشكراً فدعا له الرجل بألف دينار وكسوة وحُملانٍ وغدا على عليّ مع جماعة من وجوه العسكر متشكراً فقال له عليّ وما ذاك قال أخبرني أبو فلان ـ وهو الي جنبه ـ كلامك أمير المؤمنين في أمري ورضاه عني فالتفت الي المدينيّ وقال ما هذا فقال أصلحك الله هذا بعض ذلك المتاع نشرناه فضحك عليّ وقال علىّ بدابّتي وركب الي المهديّ وحدّثه الحديث فضحك المهديّ وقال .. إنّا قد رضينا عن الرجل ورددنا عليه ماله .. وأجرى على المدينيّ رزقا واسعاً واستوصى به خيراً ثم وصله .. وكان يُعرف بكذّاب أمير المؤمنين

محاسن العفو

قيل .. أسر مصعب بن الزبير رجلا من أصحاب المختار فأمر بضرب عنقه فقال .. أيها الأمير ما أقبح بك أن أقوم يوم القيامة الي صورتك هذه الحسنة فاتعلق باطرافك وأقول رب سل مصعباً فيمَ قتلني فقال أطلقوه .. فقال أيها الأمير اجعل ما وهبت لي من عمرى في خفض عيش .. فقال اعطوه مائة ألف درهم .. قال بأبي أنت وأمي اشهدك أن لابن قيس الرُّقَيّات منها خمسين ألفاً قال لِمَ قال لقوله فيك

إنَّما مُصْعَبٌ شِهابٌ منَ اللّـــهِ تجلَّتْ عَنْ وَجْهِهِ الظَّلماءُ

مُلْكُهُ مُلْكُ رأفةٍ ليسَ فيهِ جَبَرُوتٌ ولاَ لهُ كِبرِياءُ

فضحك مصعب وقال.. لقد تلطّفت وإنّ فيك لموضعاً للصنيعة وأمر له بالمائة ألف ولابن قيس الرُّقيات بخمسين ألف درهم .. قيل وأمر الرشيد يحيي بن خالد بحبس رجل جنَى جناية فحبسه ثم سأل عنه الرشيد فقيل هو كثير الصلاة والدعاء فقال للموكل به عرّض له بان تكلمني وتسألني اطلاقه فقال له الموكل ذلك فقال قل لأمير المؤمنين إن كل يوم يمضى من نعمتك ينقص من محنتى والأمر قريب والموعد الصراط والحاكم الله فخرّ الرشيد مغشياً عليه ثم أفاق وأمر باطلاقه .. وقيل ظفر المأمون برجل كان يطلبه فلما دخل عليه قال يا عدو الله انت الذي تفسد فى الأرض بغير الحق ياغلام خذه اليك فاسقه كأس المنية فقال يا امير المؤمنين ان رأيت ان تبقينى حتى أؤيدك بمال قال لاسبيل الي ذلك فقال يا امير المؤمنين فدعنى انشدك ابياتا قال هات فانشده

زَعَموا بأنَّ البازَ عَلَّقَ مَرَّةً عُصْفُورُ بَزَّ ساقَهُ المَقْدُورُ

فتكلَّمَ العُصْفورُ تحتَ جَناحِهِ والبازُ مُنْقَضٌّ عليه يَطِيرُ

ما بي لِمَا يُغْنِي لِمِثْلِكَ شُبْعَةً ولَئِنْ أُكِلْتُ فإنَّني لَحَقِيرُ

فتبَسَّمَ البازُ المُدِلُّ بنفسِهِ كَرَماً وأطْلَقَ ذلِكَ العُصْفُورُ

فقال له المأمون ،، أحسنت ماجرى ذلك على لسانك إلا لبقيـة بقيت من عمرك فأطلقه وخلع عليه ووصله .. وعن بعضهم ان والياً أتي برجل جنى جناية فأمر بضربه فلما مُدّ قال ،، بحقّ رأس أمك الا ما عفوت عني ،، قال أوجع فقال ،، بحق خدّيها ونحرها قال أضرب قال بحق ثديها قال أضرب قال بحق سرّتها قال ويلكم دعوه لايحدر قليلا .. وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ،، إن الرجل اذا ظُلم فـلم ينتصر ولم يجد من ينصره فرفع طرفه الى السماء ودعا قال الله له لبيك عبدى انصرك عاجـلا وآجلا .. وقال صلى الله عليه وسلم فى قولهم ،، انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً ،، وقدسئل عن ذلك فقيـل ،، أنصره مظلوماً فكيف أنصره ظالماً فقال ،، تمنعه من الظلم فذلك نصرك اياه .. وقال فُضيل بن عياض بكى أبي فقلت ما يبكيك فقال ،، أبكي على ظالمي ومن أخذ مالي أرحمه غـداً اذا وقف بين يدى الله عزّ وجلّ وسأله فلا تكون له حجّة .. وقال الحسن البصرى أيها المتصدّق على السائل يرحمه ارحم أولا من ظَلمت .. وروى عن عبد الله بن سلام قال ،، قرأت في بعض الكتب قال الله عزّ وجلّ إذا عصـاني من يعرفني سلّطت عليه من لا يعرفني .. قال خالد بن صفوان إياكم وبجانيق الضعفاء ـ يعني الدعاء ـ

﴿ ضـدّه ﴾

قيل ،، لما قالت الثعلبية للجحّاف بن حكيم السلمي في وقعته ،، بالبشر قوّض الله عمادك وأطال سُهادك وأفلّ رقادك والله ان قتلت إلا نساء أسافلهن دُمّيّ وأعاليهن ثُدِيّ .. فقال لمن حوله لولا أن ثلة مثلها خلّيت سبيلها فبلغ ذلك الحسن البصرى فقال ،، أمّا الجحّاف فجَذوة من نار جهنم .. قال ولما بنى زياد بناء البصرة أمر أصحابه أن يسمعوا من أفواه الناس فأتيَ برجل تلا آية ﴿ أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ﴾ قال وما دعاك الى هذا قال آية من كتاب الله عزّ وجـلّ خطرت على بالي فتلوتها قال والله لأعملن فيك بالآية الثانية ﴿ وَإِذَا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ

جبارين) ثم أمر به فبنى عليه ركن من أركان القصر .. قال وبعث زياد الى رجل من بنى تميم فقال أخبروني بصلحاء كل ناحية فأخبروه فاختار منهم رجالاً فضمنهم الطريق .. وقال لو ضاع بيني وبين خراسان حبل لعلمت من لقطه .. وكان يدفن الناس أحياء وينزع أضلاع اللصوص .. قال وقال عبد الملك للحجاج كيف تسير فى الناس قال .. انظر الى عجوز أدركت زياداً فاسئلها عن سيرته فاعمل بها .. فأخذ والله بسنته حتى ما ترك منها شيئاً .. وذكروا أن الحجاج لما أتي المدينة أرسل الى الحسن بن الحسن رضي الله عنه فقال هات سيف رسول الله صلى الله عليه وسلم ودرعه قال لا أفعل قال فجاء الحجاج بالسيف والسوط فقال والله لأضربنك بهذا السوط حتى أقطعه ثم لأضربنك بهذا السيف حتى تبرد أو تأتيني بهما فقال الناس يا ابا محمد لا تعرض لهذا الجبار قال فجاء الحسن بسيف رسول الله صلى الله عليه وسلم ودرعه فوضعهما بين يدى الحجاج فأرسل الحجاج الي رجل من بنى أبي رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له هل تعرف سيف رسول الله صلى الله عليه وسلم قال نعم فخلطه بين أسيافه ثم قال اخرجه ثم جاء بالدرع فنظر اليها ثم قال هناك علامة كانت على الفضل بن العباس يوم اليرموك فطعن بحربة فخرقت الدرع فعرفناها فوجد الدرع على ما قال فقال الحجاج اما والله لو لم تجئني به وجئت بغيره لضربت به رأسك .. وذكروا ان الحجاج قال ذات ليلة لحاجبه .. أعسس بنفسك فمن وجدته فجئني به فلما اصبح أتاه بثلاثة فقال .. اصلح الله الأمير ما وجدت الا هؤلاء الثلاثة .. فقال الحجاج لواحد منهم ما كان سبب خروجك بالليل وقد نادي المنادى أن لا يخرج أحد بالليل قال .. أصلح الله الأمير كنت سكران فغلبني السكر فخرجت ولا أعقل .. ففكر ساعة ثم قال .. سكران غلبه سكره خلوا عنه لا تعودن .. ثم قال للآخر فانت ما سبب خروجك قال .. أصلح الله الأمير كنت مع قوم فى مجلس يشربون فوقعت بينهم حرب بدد فخفت على نفسي فخرجت .. ففكر الحجاج ساعة فقال .. رجل أحب السلامة خلوا عنه .. ثم قال للآخر ما كان سبب خروجك فقال .. لي والدة عجوز وأنا رجل حمال فرجعت الى بيتي فقالت والدتي ما ذقت الي هذا الوقت طعاماً ولا ذواقا فخرجت ألتمس لها ذلك فأخذني العسس .. ففكر ساعة ثم قال .. يا غلام أضرب

عنقه فاذا رأسه بين رجليه

محاسن الصبر على الحبس

قال الكسروي .. وقّع كسرى بن هرمز الى بعض المحبّسين من صبر على النازلة كان كمن لم تنزل به ومن طوّل في الحبل كان فيه عطبه ومن أكل بلا مقدار تلفت نفسه .. قيل ودخل ابن الزيّات على الافشين وهو محبوس .. فقال يخاطبه

إصْبِرْ لها صبرَ أقوامٍ نفوسُهمُ ... لا تستريحُ إلى عقلٍ ولا قودِ

فقال الافشين .. من صحب الزمان لم ينج من خيره أو شره ووجد الكرامة والهوان .. ثم قال

لم ينجُ مِنْ خيرِها أوْ شرِّها أحدٌ ... فاذْكُرْ شوائبَها إنْ كنتَ مِنْ أحَدِ

خاضتْ بكَ المُنيةُ الحمقاءُ غمرتَها ... فتلكَ أمْواجُها ترْميكَ بالزَّبَدِ

ولعليّ بن الجهم لما حبسه المتوكل

قالتْ حُبِسْتَ فقلتُ ليسَ بضائرِي ... حبسِي وأيُّ مُهنَّدٍ لا يُغْمَدُ

أوَ ما رأيتِ اللّيثَ يألفُ غيلَهُ ... كِبْرًا وأوْباشُ السِّباعِ تردَّدُ

والنارُ في أحْجارِها مخبُوءةٌ ... لا تُصْطلَى إنْ لمْ تُثِرْها الأزْنَدُ

والبدْرُ يُدْرِكُهُ الظلامُ فتنجلِي ... أيّامَهُ وكأنَّهُ متجدِّدُ

والزّاعبيَّةُ لا يُقيمُ كُعُوبَها ... إلاَّ الثِّقافُ وجذْوَةٌ تتوقَّدُ

غيرُ اللّيالي بادِئاتٌ عُوَّدٌ ... والمالُ عاريةٌ يُفادُ ويَنفَدُ

لا يُؤيسنَّك منْ تفرُّجِ كُرْبةٍ ... خطْبٌ أتاكَ بهِ الزَّمانُ الأنكَدُ

فلكلِّ حالٍ مُعْقِبٌ ولرُبَّما ... أجْلَى لكَ المكْرُوهُ عمَّا تحْمَدُ

كم من عليلٍ قد تخطّاهُ الرّدى ... فنجا ومات طبيبهُ والعوّدُ
صبرًا فإنّ اليوم يعقبهُ غدٌ ... ويدُ الخلافةِ لا تطاولها يدُ
والحبسُ ما لم تغشهُ لدنيّةٍ ... شنعاء نعم المنزلُ المتورّد
لو لم يكن في الحبسِ إلاّ أنّهُ ... لا يستذلّكَ بالحجاب الأعبد
بيتٌ يجدّدُ للكريمِ كرامةً ... ويزارُ فيهِ ولا يزورُ ويحمد
أبلغ أميرَ المؤمنينَ ودونهُ ... خوفُ العدى ومخاوفٌ لا تنفد
أنتم بنو عمّ النّبيّ محمّدٍ ... أولى بما شرعَ النّبيُّ محمّد
ما كانَ من حسنٍ فأنتم أهلهُ ... كرمتْ مغارسكم وطابَ المحتد
أمنَ السّويّةِ يا ابن عمّ محمّدٍ ... خصمٌ تقرّبهُ وآخرُ يبعد
يا أحمدَ بنَ أبي دؤادٍ إنّما ... تدعى لكلّ كريهةٍ يا أحمدُ
إنّ الذينَ سعوا إليكَ بباطلٍ ... أعداءُ نعمتكَ التي لا تجحد
شهدوا وغبنا عنهمُ فتحكّموا ... فينا وليسَ كغائبٍ من يشهد
لو يجمعُ الخصماءَ عندكَ منزلٌ ... يوماً لبانَ لكَ الطّريقُ الأرشد
والشّمسُ لولا أنّها محجوبةٌ ... عن ناظريكَ لما أضاءَ الفرقد

﴿ ضدّه ﴾

•• أنشدنا عاصم بن محمد الكاتب لنفسه لما حبسه احمد بن عبد العزيز بن ابي دلف .. قوله

قالتْ حُبستَ فقلتُ خطبٌ أنكدُ ... أنحى عليّ بهِ الزّمانُ المرصدُ

لو كُنتُ حرًّا كانَ سِرْبي مُطْلَقًا ... ما كُنتُ أُحبَسُ عَنوَةً وأُقيَّدُ

لو كُنتُ كالسَّيفِ المُهَنَّدِ لم يكُنْ ... وَقتَ الكَرِيهَةِ والشَّدائِدِ يُغمَدُ

لو كُنتُ كاللَّيثِ الهَصورِ لَمارَعَتْ ... فِيَّ الذِّئابُ وجَذوَتي تَتَوَقَّدُ

مَنْ قالَ إنَّ الحَبسَ بَيتُ كَرامةٍ ... فمُكاثِرٌ في قَولِهِ مُتَجالِدُ

ما الحَبسُ إلَّا بَيتُ كُلِّ مَهانَةٍ ... ومَذَلَّةٍ ومَكارِهٍ لا تَنفَدُ

إن زارَني فيهِ العَدُوُّ فشامِتٌ ... يُبدِي التَّوَجُّعَ تارَةً ويُفنِّدُ

أو زارَني فيهِ المُحِبُّ فمُوجَعٌ ... يُذرِي الدُّموعَ بِزَفرَةٍ تَتَرَدَّدُ

يَكفيكَ أنَّ الحَبسَ بَيتٌ لا يُرَى ... أحَدٌ عليهِ مِنَ الخَلائِقِ يُحسَدُ

تَمضِي اللَّيالي لا أذوقُ لِرَقدَةٍ ... طَعمًا وكيفَ يَذوقُ مَنْ لا يَرقُدُ

في مُطبِقٍ فيهِ النَّهارُ مُشاكِلٌ ... لِلَّيلِ والظُّلُماتُ فيهِ سَرمَدُ

فإلى مَتَى هذَا الشَّقاءُ مُؤَكَّدٌ ... وإلى مَتَى هذَا البَلاءُ مُجَدَّدُ

مالي مُجيرٌ غيرُ سَيِّدِيَ الَّذِي ... ما زالَ يَكفُلُني فنِعمَ السَّيِّدُ

غُذِيَتْ حُشاشَةُ مُهجَتي بِنَوافِلٍ ... مِنْ سَيبِهِ وصَنائِعٍ لا تُجحَدُ

عِشرِينَ حَولًا عِشتُ تَحتَ جَناحِهِ ... عَيشَ المُلُوكِ وحالَتي تَتَزَيَّدُ

فَخَلا العَدُوُّ بِوَضعِي مِنْ قَلبِهِ ... فحَشاهُ جَمرًا نارُهُ تَتَوَقَّدُ

فاغفِرْ لِعَبدِكَ ذَنبَهُ مُتَطَوِّلًا ... فالحَقدُ مِنكَ سَجِيَّةٌ لا تُعهَدُ

واذكُرْ خَصائِصَ خِدمَتي ومَقاوِمِي ... أيَّامَ كُنتَ جَمِيعَ أمرِي تَحمَدُ

•• وقال عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب رضي

الله عنهم

خَرَجْنا مِنَ الدُّنْيا ونَحْنُ مِنْ أَهْلِها ... فَلَسْنا مِنَ الأَمْواتِ فِيها ولا الأَحْيا
إِذا دَخَلَ السَّجّانُ يَوْماً لِحاجَةٍ ... عَجِبْنا وقُلْنا جاءَ هٰذا مِنَ الدُّنْيا
ونَفْرَحُ بِالرُّؤْيا فَجُلُّ حَدِيثِنا ... إِذا نَحْنُ أَصْبَحْنا الحَدِيثُ عَنِ الرُّؤْيا
فَإِنْ حَسُنَتْ كانَتْ بَطِيئاً مَجِيئُها ... وإِنْ قَبُحَتْ لَمْ تُنْتَظَرْ وأَتَتْ سَعْيا

وقال آخر

أَلا أَحَدٌ يَدْعُو لِأَهْلِ مَحَلَّةٍ ... مُقِيمِينَ في الدُّنْيا وقد فارَقُوا الدُّنْيا
كَأَنَّهُمُ لَمْ يَعْرِفُوا غَيْرَ دارِهِمْ ... ولَمْ يَعْرِفُوا غَيْرَ الشَّدائِدِ والبَلْوى

وقال ابن المعتز

تَعَلَّمْتُ في السِّجْنِ نَسْجَ التِّكَكْ ... وكُنْتُ امْرَأً قَبْلَ حَبْسِي مَلَكْ
وقُيِّدْتُ بَعْدَ رُكُوبِ الجِيادِ ... وما ذاكَ إِلَّا بِدَوْرِ الفَلَكْ
أَلَمْ تُبْصِرِ الطَّيْرَ في جَوِّها ... تَكادُ تُلاصِقُ ذاتَ الحَبَكْ
إِذا أَبْصَرَتْهُ خُطُوبُ الزَّمانِ ... أَوْقَعَتْهُ في حِبالِ الشَّرَكْ
فَهٰذاكَ مِنْ حالِقٍ قَدْ يُصادُ ... ومِنْ قَعْرِ بَحْرٍ يُصادُ السَّمَكْ

•• ووجد في البيت الذي قتل فيه مكتوب بخطه على الأرض

يا نَفْسُ صَبْراً لَعَلَّ الخَيْرَ عُقْباكِ ... خانَتْكِ بَعْدَ طُوالِ الأَمْنِ دُنْياكِ
مَرَّتْ بِنا سَحَراً طَيْرٌ فَقُلْتُ لَها ... طُوباكِ يا لَيْتَنِي إِيَّاكِ طُوباكِ

وقال اعرابي

ولَمّا دَخَلْتُ السِّجْنَ كَبَّرَ أَهْلُهُ ... وقالوا أَبُو لَيْلَى الغَداةَ حَزِينُ
وفي البابِ مَكْتُوبٌ عَلى صَفَحاتِهِ ... بِأَنَّكَ تَنْزُو ثُمَّ سَوْفَ تَلِينُ

وفى الحديث المرفوع ،، ان يوسف عليه السلام شكى الي الله تعالى طول الحبس فأوحى اليه أنت حبست نفسك حين قلت ﴿ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ ﴾ ولو قلت العافية أحب إليَّ لعوفيت ،، قال وكتب يوسف عليه السلام على باب السجن ،، هذه منازل البلوى وقبور الأحياء وشماتة الأعداء وتجربة الأصدقاء

محاسن المودة

قال بعض الحكماء ،، ليس للانسان تنعم الا بمودات الاخوان ،، وقال آخر الازدياد من الاخوان زيادة فى الآجال وتوفير لحسن الحال ،، وقيل عاشروا الناس معاشرة ان عشتم حنوا اليكم وإن متم بكوا عليكم ،، وقال

قد يملك الناس حيناً ليس بينهم ... ودٌّ فيزرعه التسليم واللطف

يسلى الشقيقين طول النأي بينهما ... وتلتقي شعب شتى فتأتلف

وقال علىّ بن أبي طالب رضى الله عنه لابنه الحسين ،، ابذل لصديقك كل المودة ولا تطمئن اليه كل الطمأنينة واعطه كل المواساة ولا تفش اليه كل الأسرار ،، وقال العباس بن جرير .. المودة تعاطف القلوب وائتلاف الأرواح وأنس النفوس ووحشة الاشخاص عند تنائى اللقاء وظهور السرور بكثرة التزاور وعلى حسب مشاكلة الجواهر يكون الاتفاق في الخصال ،، وقال بعضهم من لم يواخ من الاخوان الا من لا عيب فيه قل صديقه ومن لم يرض من صديقه الا بايثاره إيّاه على نفسه دام سخطه ومن عاتب على غير ذنب كثر عدوه ،، وكان يقال أعجز الناس من فرط في طلب الاخوان .. وقال الشاعر فى مثله

لعمرك ما مال الفتى بذخيرة ... ولكن إخوان الثقات الذخائر

﴿ ضـدّه ﴾

قال المأمون .. الاخوان ثلاث طبقات طبقة كالغذاء لا يستغنى عنه وطبقة كالدواء يحتاج اليه أحياناً وطبقة كالداء الذى لا يحتاج اليـه .. وكتب بعض الكتّاب ان فلاناً أولاني جميلاً من البشر مقرونا بلطيف من الخطاب في بسط وجه ولين كنف فلما كشفه الامتحان بيسير الحاجة كان كالتابوت المطليّ عليه بالذهب المملوء بالعذرة أعجبك حسنه مادام مطبقاً فلما فتح آذاك نتنه فلا أبعد الله غيره .. ومما قيل فى ذلك

والله لو كرهت كفّي منادمتي ... لقلت للكفّ يبني إذ كرهتيني

وقال آخر

ولو أنى تخالفنى شمالي ... لما أتبعتها أبدًا يميني
إذًا لقطعتها ولقلت بيني ... كذلك اجتوي من يجتويني

وقال آخر

من لم يرِدْكَ فلا تُرِدْهُ ... ليكُنْ كمن لم تستفِدْهُ
باعِدْهُ أحالكَ ببُعْدِهِ ... فإذا نأى شبرًا فزِدْهُ

وقال آخر

تَوَدُّ عدوّي ثمّ تزعمُ أنّني ... أودّكَ إنّ الرأيَ منكَ لعازبُ
وليس أخي من ودّني رأيَ عينِهِ ... ولكنّ أخي من ودّني وهو غائبُ

وقال آخر

إنّ اختيارَكَ لا عن خبرةٍ سلفتْ ... إلاّ الرجاءُ ومما يخطئُ النظرُ
كالمستغيثِ ببطنِ السيلِ يحسبُهُ ... حرزًا يبادرُهُ إذ بلّهُ المطرُ

وقال آخر

وصاحبٍ كانَ لي وكُنتُ لهُ ... أشفقُ منْ والدٍ على وَلَدِ
وكانَ لي مؤنِساً وكُنتُ لهُ ... ليستْ بنا وَحشةٌ إلى أحَدِ
كُنّا كساقٍ مشَتْ بها قدَمٌ ... أو كذِراعٍ نيطَتْ إلى عضُدِ
حتّى إذا أمكنَ الحوادِثُ منْ ... حظّي وحلَّ الزّمانُ منْ عُقدي
إزوَرَّ عنّي وكانَ ينظُرُ منْ ... عَيني ويرمي بساعِدي ويَدي
حتّى إذا استَرفَدَتْ يدي يدَهُ ... كُنتُ كمُستَرفِدٍ يَدَ الأسَدِ

وقال آخر

فيا عجَباً لِمَنْ ربَّيتُ طِفلاً ... أُلَقِّمُهُ بأطرافِ البَنانِ
أُعلِّمُهُ الرّمايةَ كُلَّ يومٍ ... فلمّا استَدَّ ساعِدُه رَماني
أُعلِّمُهُ الفتُوَّةَ كُلَّ حينٍ ... فلمّا طَرَّ شارِبُهُ جفاني
أُعلِّمُهُ الرِّوايةَ كلَّ وقتٍ ... فلمّا صارَ شاعِرَها هَجاني

محاسن الولايات

سئل عمّار بن ياسر رضى الله عنه عن الولاية فقال .. هي حلوة الرضاع مرة الفطام .. وذكروا انه كان سبب عزل الحجاج بن يوسف عن المدينة وقد وَفَد من أهل المدينة منهم عيسى بن طلحة بن عبيد الله على عبد الملك بن مروان فاثنوا على الحجاج وعيسى ساكت فلما قاموا ثبت عيسى حتى خلا له وجه عبد الملك فقام فجلس بين يديه فقال يا أمير المؤمنين من أنا قال عيسى بن طلحة بن عبيد الله قال فمن أنت قال عبد الملك بن مروان قال أجهلتنا أو تغيرت بعدنا قال وما ذاك قال ولّيت علينا

الحجاج بن يوسف يسير بالباطل ويحملنا على أن نثني عليه بغير الحق والله لئن أعدته علينا لنعصينك وان قاتلتنا وغلبتنا وأسأت الينا قطعت أرحامنا ولئن قوينا عليك لنغصبنك ملكك فقال له عبد الملك انصرف والزم بيتك ولا تذكرن من هذا شيئاً قال فقام الي منزله وأصبح الحجاج غادياً الى عيسى بن طلحة فقال جزاك الله عن خلوتك بأمير المؤمنين خيراً فقد أبدلني بكم خيراً وأبدلكم بي غيري وولاّني العراق ،، وعن معمر بن وهيب قال ،، كان عبد الملك عند ما استعفى أهل العراق من الحجاج قال لهم اختاروا أي هذين شئتم — يعني أخاه محمد بن مروان وابنه عبد الله بن عبد الملك — مكان الحجاج فكتب اليه الحجاج ،، يا أمير المؤمنين ان أهل العراق استعفوا عثمان بن عفان من سعيد بن العاص فاعفاهم منه فساروا اليه من قابل وقتلوه ،، فقال صدق ورب الكعبة وكتب الي محمد وعبد الله بالسمع والطاعة له

﴿ ضده ﴾

كتب ‥ عبد الصمد بن المعذّل الى صديق له ولّى النفاطات فأظهر تيهاً

لَعَمْرِي لقدْ أظْهَرْتَ تِيهاً كأنَّما ... تَوَلَّيتَ للفَضْلِ بنِ مَرْوانَ عُكْبَرا

دَعِ الكِبْرَ واستَبْقِ التَّواضُعَ إنَّهُ ... قَبيحٌ بوالي النَّفْطِ أنْ يَتَغَيَّرا

لِحِفْظِ عُيونِ النفْطِ أحْدَثْتَ نَخْوَةً ... فكيْفَ بهِ لو كانَ مِسْكاً وعَنْبَرا

وقال ابن المعتز

كَمْ تائهٍ بولايَةٍ ... وبعَزْلِهِ يَعْدُو البَرِيدُ

سُكْرُ الوِلايَةِ طَيِّبٌ ... وخُمَارُهُ صَعْبٌ شَدِيدُ

وقال لبيد

لا تَفْرَحَنَّ فكُلُّ والٍ يُعْزَلُ ... وكما عُزِلْتَ فعَنْ قَرِيبٍ تُقْتَلُ

وكذا الزمانُ بما يَسُرُّكَ تارةً ... ويسوءُكَ تارةً يتنقَّلُ

محاسن الصحبة

قيل .. قال علقمة بن ليث لابنه ،، يا بُنيَّ ان نازعتك نفسك الى الرجال يوما لحاجتك اليهم فاصحب من إن صحبته زانك وان تخفّفت له صانك وان نزلت بك مؤونة مانك وان قلت صدَّق قولك وان صلت شدَّد صولك اصحب من اذا مددت اليه يدك لفضل مدَّها وان رأى منك حسنة عدَّها وان بدت منك ثلمة سدَّها واصحب من لا تأتيك منه البوائق ولا تختلف عليك منه الطرائق ولا يخذلك عند الحقائق ،، وقال آخر اصحب من خوّلك نفسه وملّكك خدمته وتخيرك لزمانه فقد وجب عليك حقه وذمامه ،، وكان يقال من قبل صلتك فقد باعك مروءته وأذلَّ لقدرك عزه ،، وقال بعضهم لصاحبه انا أطوع لك من اليد واذل من النعل .. وقال بعضهم اذا رأيت كلباً ترك صاحبه وتبعك فارجمه فانه تاركك كما ترك صاحبه ،، وقال ابن أبي دواد لرجل انقطع الى محمد بن عبد الملك الزيات .. ما خبرك مع صاحبك فقال .. لا يقصر فى الاحسان الى فقال .. يا هذا ان لسان حالك يكذب لسان مقالك

﴿ ضدّه ﴾

قيل ،، كان يوسف بن عمر الثقفي يتولى العراقين لهشام بن عبد الملك وكان مذموماً في عمله فخبرني المدائني قال ،، وزن يوسف بن عمر درهما فنقص حبة فكتب الى دور الضرب بالعراق يضرب أهلها مائة .. قيل وخطب فى مسجد الكوفة فتكلم انسان مجنون فقال ،، يا أهل الكوفة ألم أنهكم أن تدخلوا مساجدكم المجانين اضربوا عنقه فضربت عنقه .. قال وقال لهمّام بن يحيى وكان عاملا له ،، يا فاسق خرّبت مهرجانقذق قال انى لم أكن عليها انما كنت على ماه دينار وعمرت البلاد فأعاد ذلك عليه مراراً